فضائل القرآن
في السنة والفرقان

الشيخ الدكتور
أبو عبدالرحمن سمير بن أحمد الصباغ

شبكة الألوكة
www.alukah.net

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فضائل القرآن

في السنة والفرقان

الجزء الأول

جمعه الفقير إلى عفو الكريم المنان

الدكتور/ سمير بن أحمد عبد الخالق الصباغ

أبو عبد الرحمن

حقوق الطبع مبذولة لعموم المسلمين

١٤٤٥هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

www.alukah.net
شبكة الألوكة

مقدمة

إنَّ الحمدَ لله، نحمَدُه ونستعينُه ونستغفرُه، ونعوذُ باللهِ من شرورِ أنفُسِنا، وسيِّئاتِ أعمالِنا، مَن يهدِهِ اللهُ فلا مُضِلَّ له، ومَن يُضلِلْ فلا هاديَ له، وأشهَدُ أنْ لا إلهَ إلَّا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، وأشهَدُ أنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

أمَّا بعدُ:

فهذا بحثٌ مختصرٌ جامعٌ بإذن الله تعالىٰ لفضائلِ القرآنِ العظيمِ مما ورد في كتابِ الله الحكيمِ، ومن صحيحِ السُّنة النبوية المطهَّرة.

فما عُبِدَ اللهُ جل وعلا بخيرٍ من كلامه، فالقرآنُ هو كلامُ الله المبين، وحبلُه المتين، وهو الصراطُ المستقيم، مَن تعلَّمه وعمِل به وقام بحقِّ الله فيه نجا، ومَن أعرض عنه هلك ونال اللَّظَىٰ، فأكرمُ الناس علىٰ الله هم أهلُ القرآنِ القائمين بحقِّ الله فيه، التالين له حقَّ تلاوته، قال النبيُّ ﷺ: «**خَيرُكُم مَن تعلَّمَ القرآنَ وعلَّمَه**».

وقال ﷺ: «**إنَّ للهِ أَهْلِينَ من الناسِ**». قيل: مَن هم يا رسولَ الله؟ قال: «**هم أهلُ القرآنِ، فهم أهلُ اللهِ وخاصَّتُه**».

فاللهم اجعَلْنا من أهلِ القرآنِ العالمين العاملين به، المعلِّمين له، واجعَلْنا من أهلِك وخاصَّتِك، وممَّن يقال له يومَ القيامة: «**اقرَأْ وارْتَقِ ورَتِّلْ كما كنتَ تُرتِّلُ في الدُّنيا، فإنَّ منزلتَك عندَ آخِرِ آيةٍ تقرَؤُها**».

ولقد اعتنىٰ اللهُ جل وعلا ببيانِ فضائل كتابِه العزيزِ في ثنايا آياته من كونه كتابًا مباركًا، عظيمَ النفع، كثيرَ الخير، هدًى للمتقين، وأنه كتابٌ عزيز، وكريم، وحكيم، ونور، وبرهان، ومهيمن، وحكيم، ومبين، ومفصل، وموعظة، وشفاءٌ لِما في الصدور، ورحمةٌ للمؤمنين، وأحسنُ الحديث، وذكر، وذو ذكر وشرفٍ وعزٍّ لحامليه

العاملين به، وأنه حقٌّ، ونزَلَ بالحقِّ مشتملًا علىٰ الحقِّ والهدىٰ، وأنه مِنَّةُ اللهِ علىٰ هذه الأمةِ، والمعجزةُ الخالدةُ إلىٰ يوم الدين.

وذكَرَ اللهُ تعالىٰ غيرَ هذا من الفضائلِ والمنافعِ التي بينها سبحانه في هذا الكتابِ.

وهذا ما نفصلُ فيه القولَ باختصارٍ في المباحث الآتية.

أسأل اللهَ تعالىٰ أن يجعلَ هذا العملَ خالصًا لوجهِه الكريمِ، وأن ينفَعَ به الإسلامَ والمسلمين، وصلَّىٰ اللهُ وسلَّم وبارك علىٰ نبيِّنا محمدٍ وعلىٰ آله وأصحابه أجمعين!

الجزء الأول
فضائل القرآن من الفرقان

المبحث الأول: القرآن كتاب هداية

(١) قال اللهُ تعالىٰ: {الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ} [البقرة: ١-٢].

فالقرآنُ كتاب هدًى، والهُدىٰ: ما تحصُلُ به الهدايةُ من الضلالة والشُّبهة، وما به الهداية إلىٰ سلوكِ الطرق النافعة.

وقول الله تعالىٰ: {هُدٗى}: حُذِف منه المعمول، فلم يذكر أنه هدًىٰ لمصلحة كذا أو كذا، وإنما أطلقَ اللفظَ لإرادةِ العموم، فهو هدًىٰ لجميعِ مصالح الدارين الدنيا والآخرة.

فالقرآنُ يشتملُ علىٰ هدايةِ الإرشاد، وبيانِ كيفية هداية التوفيق والسداد بذكر الطرقِ والأسباب المؤدية إليها.

قال الله تعالىٰ هنا: {هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ}، وقال في موضعٍ آخرَ: {هُدٗى لِّلنَّاسِ}؛ لأن فيه هدايةَ إرشادٍ لجميع الناس، وهدايةَ إرشاد وتوفيق وسداد للمؤمنين به، المتقين لربِّهم جل وعلا.

فالكفارُ والمنافقون الأشقياء لم يرفعوا به رأسًا، ولم يقبلوا هدىٰ الله، فقامت عليهم الحجةُ، ولم ينتفعوا به لشقائهم، أما المتقون

الذين أتَوْا بالسببِ الأكبر لنَوالِ الهداية- ألا وهو التقوىٰ بفعل المأمور واجتناب المحظور- فقد اهتَدَوْا به، وانتفعوا به غايةَ الانتفاع.

(٢) قال اللهُ تعالىٰ: {شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ} [البقرة:١٨٥]:

فالقرآنُ مشتملٌ علىٰ الهدايةِ لمصالح العبادِ الدينية والدنيوية، وهو هدايةُ إرشادٍ لجميعِ الناس، وهداية توفيقٍ وسدادٍ لأهلِ الإيمان والتقىٰ.

قوله تعالىٰ: {وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ}؛ أي: أنه بيَّن الحقَّ بأوضحِ بيان، وفرَّق بين الحقِّ والباطلِ، والهُدىٰ والضلال، وأهلِ السعادة وأهل الشقاوة.

(٣) قال اللهُ تعالىٰ: {إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا} [الإسراء:٩]: فالقرآنُ يهدي للإسلامِ والإيمانِ والإحسان، {يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ}؛ أي: لأعدلِ وأهدىٰ وأعلىٰ العقائدِ والأعمالِ والأخلاق،

فمَن اهتدىٰ بهدي القرآنِ كان أكملَ الناس، وأعدلَهم، وأهداهم، وأتقاهم، وأكملَهم، وأحكَمَهم، وأصلَحَهم في جميعِ أموره، في حياته ومماته، وفي قبره وآخرته.

فكما أنه كتابُ هدايةٍ هو كتابُ بِشارةٍ لأهلِ الإيمان العاملين به بالجنَّة، وكتابُ نذارةٍ لمَن كفر به وأعرَضَ عنه بالنار.

(٤) قال اللهُ تعالىٰ: {قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدًى وَشِفَآءٌ} [فصلت:٤٤]؛ أي: يَهديهم لطريقِ الرشاد والصراط المستقيم، ويُعلِّمُهم من العلومِ النافعةِ ما به تحصُلُ الهدايةُ التامة والشفاء من الأسقام القلبية والبدنية؛ لأنه يزجُرُ عن مساوئ الأخلاقِ وأقبح الأعمال، ويحُثُّ علىٰ التوبةِ النَّصوح التي تغسل الذنوبَ وتشفي القلوبَ.

(٥) قال تعالىٰ: {يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ} [يونس:٥٧]، فالقرآنُ هدًىٰ ورحمةٌ للمؤمنين، والهدىٰ هو العلمُ بالحقِّ والعملُ به، والرحمةُ ما يحصلُ من الخير والإحسان والثواب العاجل والآجل لمَن اهتدىٰ بهديه، فالهدىٰ أجَلُّ الوسائل، والرحمةُ أكمَلُ

المقاصدِ والرغائب، ولا يكون هدًى ولا رحمةً إلا في حقِّ أهلِ الإيمان والتقى[١].

(٦) قال اللهُ تعالى: {الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ١} [إبراهيم:١]: فالقرآن كتابُ هدايةٍ يُخرِجُ الناسَ بتعاليمِه وأحكامِه من ظلماتِ الجهل والشِّرك والكفر والبدعة والمعصية إلى نورِ العلمِ والطاعة والإسلامِ والتوحيد والإيمان والإحسان والأخلاق الحسنة.

(٦) قال تعالى: {قُلۡ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسۡتَمَعَ نَفَرٞ مِّنَ ٱلۡجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعۡنَا قُرۡءَانًا عَجَبٗا ١ يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلرُّشۡدِ} [الجن:١-٢]، فالقرآنُ كتابُ هدايةٍ يهدي إلى الرُّشد، والرُّشدُ: اسمٌ جامعٌ لكل ما يرشد الناسَ إلى مصالحِ دينهم ودنياهم وأخراهم[٢].

(٧) قال اللهُ تعالى: {طسٓۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡقُرۡءَانِ وَكِتَابٖ مُّبِينٖ ١

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٤/ ٢٧٤)، والسعدي (ص٣٦٦).

(٢) انظر: تفسير ابن كثير (٨/ ٢٣٧)، والسعدي (ص٨٩٠).

هُدَى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ} [النمل:١-٢]: وفي هذه الآياتِ يُنبِّه اللهُ عبادَه إلىٰ عظمة القرآن، بقوله: {تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡقُرۡءَانِ وَكِتَابٖ مُّبِينٖ}؛ أي: هي أعلىٰ الآياتِ، وأقوىٰ البينات، وأوضح الدلالات، وخير الأعمالِ، وأزكىٰ المقاصد والأخلاق، وهذا الكتابُ المبين كتاب هدايةٍ للمؤمنين إلىٰ الصراطِ المستقيم، وكتابُ تيسيرٍ لهم للفوزِ بالجنَّة والنجاةِ من النار.

(٨) وقال سبحانه: {إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَكۡثَرَ ٱلَّذِي هُمۡ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ٧٦ وَإِنَّهُۥ لَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ} [النمل:٧٦-٧٧]، فهو كتابُ هدايةٍ ورحمة لمَن آمَن به، وتعلَّمَه، وعمِلَ بأحكامِه.

وقال سبحانه: {إِنَّمَآ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلۡبَلۡدَةِ ٱلَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَيۡءٖۖ وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ٩١ وَأَنۡ أَتۡلُوَاْ ٱلۡقُرۡءَانَۖ فَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهۡتَدِي لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَقُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ} [النمل:٩١]؛ فأمر اللهُ نبيَّه أن يتلوَ القرآنَ علىٰ أمَّتِه ليهتدوا به، ويكونوا من الفائزين.

(٩) قال سبحانه: {الٓمٓ ۝١ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡحَكِيمِ ۝٢ هُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّلۡمُحۡسِنِينَ ۝٣ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ۝٤ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ} [لقمان:١-٥]: فالقرآنُ هدًى يَهدي إلىٰ الصراطِ المستقيم، وهو رحمةٌ تحصُلُ بها سعادةُ الدنيا والآخرة بالخير الكثير والثواب الجزيل والفرح والسرور، وذلك كلُّه لمَن آمن به، واستقام علىٰ نهجه وطريقته.

المبحث الثاني:

التمسك بالقرآن والعمل به أمان من الضلال والهلاك في الدنيا والآخرة

(١) قال اللهُ تعالىٰ: {فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِيٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ۚ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ} [طه:١٢٣-١٢٧]:

سبق أنْ علِمْنا أنَّ القرآنَ كتابُ هداية، وكذلك جميع وحيِ الله المنزَّل في الكتاب والسُّنة، فمن اتبع كتابَ الله وسنةَ رسوله فإنه لا يضلُّ ولا يشقىٰ في الدنيا والآخرة؛ بل إنه قد هُدِيَ إلىٰ الصراطِ المستقيم والسعادة والأمن في الدنيا والآخرة.

ومَن أعرَضَ عن كتابِ الله وسنة رسوله ﷺ فله المعيشةُ الضَّنْكُ الضيقة الشاقة في الدنيا، وفي القبر، وفي الآخرة، ويحشره اللهُ يومَ القيامة أعمىٰ، كما قال اللهُ تعالىٰ: {وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ

وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا﴾ [الإسراء:٩٧].

فالمعرِضُ عن القرآنِ يُسألُ سؤالَ مذلةٍ ومهانةٍ وتألمٍ وتضجر: ﴿رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِيٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا﴾ في الدنيا ؟ قال تعالىٰ: ﴿كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا﴾ من القرآنِ والسُّنة، ﴿فَنَسِيتَهَا﴾؛ أي: أعرضتَ عنها وتركتَ العمل بها، ﴿وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ﴾؛ أي: تُترَكُ من رحمةِ الله تعالىٰ؛ جزاءَ الإعراض عن القرآن والسُّنة[1].

قال اللهُ تعالىٰ: ﴿فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة:٣٨]؛ فالذين يتبعون هُدىٰ اللهِ في الكتاب والسنة لا خوفٌ عليهم في الدنيا ولا في الآخرة، ولا هم يحزنون.

فالمكروهُ إن كان قد مضىٰ أحدثَ الحزنَ، وإن كان مُنتظَرًا أحدث الخوفَ، فمَن اتَّبعَ القرآنَ والسُّنة حصل له الأمنُ التامُّ، والسعادةُ الدنيوية والأخروية، وانتفىٰ عنه الضلالُ والشقاء[2].

(٣) قال تعالىٰ: ﴿فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِيٓ أُوحِيَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (١/ ٧٣)، والسعدي (ص٥١٦).

(٢) انظر: تفسير السعدي (ص٥٠).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ} [الزخرف:٤٣-٤٤]؛ أي: تمسَّك بالقرآنِ، واعمَلْ بأحكامِه، تكُنْ من الذين هداهم اللهُ للطريق المستقيم، فالتمسكُ به فخرٌ وعِزٌّ وشرفٌ لصاحبه، وسوف يسألُكم اللهُ عن القرآنِ، هل قمتم بحقِّه أم لا؟

(٤) عن أبي شُرَيحٍ العدويِّ ﷺ قال: خرج علينا رسولُ اللهِ ﷺ فقال: «**أَبْشِرُوا وَأَبْشِرُوا أَلَيْسَ تَشْهَدُونَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ؟** قَالُوا: نَعَمْ. قَالَ: «**فَإِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ سَبَبٌ طَرَفُهُ بِيَدِ اللهِ وَطَرَفُهُ بِأَيْدِيكُمْ فَتَمَسَّكُوا بِهِ؛ فَإِنَّكُمْ لَنْ تَضِلُّوا ولن تَهلِكُوا بعدَهُ أبَدًا**»[(١)].

أي: أن هذا القرآنَ حبلٌ طرَفُه بيدِ الله وطرَفُه بيدي المسلمين، فمن تمسَّك بهذا الحبل المتين واستقام علىٰ نهجِه وعمِلَ بما فيه صار آمنًا من الضلالِ والانحرافِ والهلاك، وصار أسعدَ الناس في الدنيا والآخرة.

وقد بوَّب عليه الإمام ابنُ حِبَّانَ بقوله: «ذِكرُ نَفْيِ الضلالِ عن الآخذ بالقرآن».

---

(١) أخرجه ابن حبان في صحيحه (١٢٢).

(٥) عن جابرِ بن عبد الله أن النبيَّ ﷺ قال: «**تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ إِنِ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ، كِتَابُ اللهِ**»[١].

ورواه الحاكمُ من حديث ابن عباسٍ رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «**أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا إِنِ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ فَلَنْ تَضِلُّوا أَبَدًا كِتَابَ اللهِ وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ**»[٢].

وعن زيدِ بنِ أرقمَ وحبيبِ بن أبي ثابتٍ رضي الله عنهما أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ مَا إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِ لَنْ تَضِلُّوا بَعْدِي**»[٣].

---

(١) أخرجه مسلم (١٢١٨).

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك (٣١٨).

(٣) أخرجه الترمذي (٣٧٨٨).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

المبحث الثالث:

القرآن كلام الله، ولا يشبه كلام البشر

(١) قال اللهُ تعالىٰ: {وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا} [البقرة:٢٣-٢٤]: وهذا تحدٍّ من اللهِ جل وعلا لكلِّ من شكَّ في القرآنِ، أو كذَّب به، أن يأتوا بمثله أو سورةٍ مثله، فلن يستطيعوا أبدًا، لأنه كلامُ الله تعالىٰ، والله جل وعلا ليس كمثله شيءٌ، لا في ذاته، ولا في أسمائه، ولا في صفاته، ولا في أفعاله، ومنها صفةُ كلامِه، فهي صفة ذات وفعل، فالقرآن كلامُ الله، لا يُشبِهُ كلامَ المخلوقين.

(٢) قال اللهُ تعالىٰ: {قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا} [الإسراء:٨٨]؛ لأن كلامَ الله ليس ككلام الخلقِ أبدًا، فكلامُ الله مُعجِزٌ، وقد بلغ من الفصاحةِ والبيانِ والإعجاز والبلاغة منتهىٰ الكمال، {وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ} [فصلت:٤١-٤٢].

قال النبيُّ ﷺ: «مَا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا قَدِ أُعْطِيَ مِنَ الْآيَاتِ مَا مِثْلُهُ آمَنَ عَلَيْهِ الْبَشَرُ، وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيتُ وَحْيًا أَوْحَى اللهُ إِلَيَّ، فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ»(١).

(٢) ومَن قال: «إن كلامَ الله كقولِ البشر» توعَّدَه اللهُ بسَقَرَ، فمَن قال: {إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ}، قال اللهُ تعالىٰ: {سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقِى وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ} [المدثر:٢٦-٣٠].

قال تعالىٰ: {وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ} [يونس:٣٧-٣٨]، وقال تعالىٰ: {الٓر ۚ كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ} [هود:١].

(٣) قال اللهُ تعالىٰ: {الٓمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ

(١) أخرجه البخاري (٤٩٨١)، ومسلم (١٥٢).

ٱلۡعَٰلَمِينَ} [السجدة:١-٢]: فالقرآنُ يقينًا هو الكلامُ المنزَّلُ من ربِّ العالمين، قرأه اللهُ علىٰ جبريلَ، وسمعه جبريلُ من ربِّه، وقرأه جبريلُ كما سمعه علىٰ النبيِّ محمدٍ ﷺ، وسمعه النبيُّ ﷺ وقرأه علىٰ أصحابِه كما سمِعَه من جبريلَ عليه السلام عن ربِّ العِزَّةِ سبحانه وتعالىٰ.

قال اللهُ تعالىٰ: {وَإِنۡ أَحَدٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٱسۡتَجَارَكَ فَأَجِرۡهُ حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبۡلِغۡهُ مَأۡمَنَهُۥۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَعۡلَمُونَ} [التوبة:٦]؛ فالمتكلِّمُ بالقرآنِ هو اللهُ، وكلامُ الله صفةٌ من صفاته، وصفاتُ الله ليست مخلوقةً، فالله جل وعلا بأسمائه وصفاته هو الخالقُ وحدَه، فالقرآنُ كلامُ الله غيرُ مخلوقٍ، وإضافةُ القرآنِ إلىٰ الله تعالىٰ «كلام الله» من باب إضافةِ الصفةِ الىٰ موصوفها.

ومعنىٰ هذه الآية: إن طلب أحدٌ من المشركين منك أن تجيرَه وتحميَه وتمنعَه من الضرر لأجل أن يستمعَ إلىٰ القرآن الذي هو كلامُ الله ويتعرف الإسلام، فأَجِرْه حتىٰ يسمعَ كلامَ الله، ثم إن أسلم وآمن فذاك هو المطلوب، وإلا فأبلِغْه مأمَنه؛ أي: المحلَّ الذي يأمنُ

فيه، والسبب في ذلك أن الكفار قومٌ لا يعلمون، فغالبُ كفرهم بسبب جهلهم، فإذا زال عنهم الجهلُ أسلموا، وكانوا من المؤمنين.

والقرآنُ هو كلامُ الله المعجز الخاتم، قال النبي ﷺ: «**مَا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا قَدِ أُعْطِيَ مِنَ الْآيَاتِ مَا مِثْلُهُ آمَنَ عَلَيْهِ الْبَشَرُ، وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيتُ وَحْيًا أَوْحَى اللهُ إِلَيَّ، فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»(١).

قال اللهُ تعالىٰ: {الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ} [هود:١]؛ فالقرآنُ كتابٌ مُحكَمٌ مُفصَّل مُتقَنٌ من عند الله تعالىٰ، فهو كلامُه ووحيه إلىٰ خلقه، قال تعالىٰ: {فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلۡمِ ٱللَّهِ} [هود:١٤].

ومن أعظم الأدلةِ علىٰ أن هذا القرآنَ كلامُ الله تعالىٰ ما يأتي:

١-أن مشركي العربِ لما زعموا أن القرآن من كلام محمدٍ وليس كلام الله، تحداهم اللهُ أن يأتوا بمثله، فعجزوا، ثم تحداهم أن يأتوا بعشر سورٍ مثله، فعجزوا، ثم تحداهم أن يأتوا بمثل أقصر سورةٍ منه، فعجزوا إلىٰ يومنا هذا؛ بل أسلموا وآمَنوا، وحمَلوا القرآنَ،

(١) أخرجه مسلم (١٥٢).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وصاروا هم الدُّعاةَ إليه، ولو لم يكن هذا القرآنُ من كلام الله لاستطاعوا أن يأتوا بمثله، قال تعالىٰ: {أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ} [هود:١٣]، وقال تعالىٰ: {وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ} [البقرة:٢٣].

٢- لو كان القرآنُ من كلام البشر لوقع فيه السهوُ واللغوُ والخطأ والنقص علىٰ عادة البشر؛ بل والاختلاف، ولكنه كتابٌ معجز، لا يأتيه الباطلُ من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيمٍ حميدٍ، قال تعالىٰ: {وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا} [النساء:٨٢]، فهو كتابٌ سالمٌ من أي نقصٍ أو خطأ أو تعارض؛ بل كله حِكمةٌ وعدل ورحمة؛ بل هو كتابٌ محفوظٌ بحفظ مُنزِّله وقائله سبحانه وتعالىٰ؛ {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ} [الحجر:٩].

٣- تكفُّلُ اللهِ بحفظه أكبرُ دليلٍ علىٰ أنه كلام الله، فقد حمله ملايين البشر خلفًا عن سلف جيلًا بعد جيل ولم يختلفوا في حرفٍ منه، يحمله العربيُّ والعجميُّ كما هو بحروفه ورسمه وعدد آياته وسوره بغير زيادةٍ ولا نقصان، ولو حاول أحدٌ أن يبدلَ فيه حرفًا أو

كلمةً فضحه الله، وشتَّت شمله، كالنصراني الذي أسلم في زمن النبيِّ ﷺ، وكان ممن يكتُبُ، فأملىٰ عليه النبيُّ ﷺ سورةَ البقرة وآل عمران، ثم ارتدَّ عن الإسلام، واتهم النبيَّ ﷺ بالكذبِ، وأنَّ القرآنَ من كلامه هو، وأنه هو الذي كان يُمليه علىٰ النبي ﷺ، فأهلكه اللهُ، فدفنه أصحابُه، فلفِظَتْه الأرضُ، وكلما دفنوه وأعمقوا له في الحفر لفِظَتْه الأرضُ، حتىٰ قال أصحابه: إنَّ هذا ليس من فعلِ محمدٍ ولا أصحابه، وإنما هو من فعل السماء[1].

٤-الإعجازُ العلميُّ العظيمُ الذي حمله القرآن واشتمل عليه وأخبر عنه منذ قرابة ألف وخمس مئة عام، وكذلك الإخبار بأمورٍ غَيبيةٍ حصلت علىٰ مرِّ العصور والأزمان، وكذلك ما حواه هذا الكتابُ من تشريعاتٍ وأحكامٍ وعقائدَ وقصص ودروس وعبر وأخلاق وسلوك وقوانين يعجِزُ البشرُ عن أن يُتقِنوها هذا الإتقانَ بهذه العدالة المتناهية، والأمثلة علىٰ ذلك كثيرةٌ عظيمةٌ لا حصرَ لها في الكتاب والسُّنة.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦١٧).

المبحث الرابع:
من آمن بالقرآن والسنة جملةً وتفصيلًا فذلكم المؤمن المبشَّر بالخير

(١) قال اللهُ تعالىٰ في حقِّ بني إسرائيل الضالِّين: {أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَاۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ} [البقرة:٨٥]، هذا جزاءُ مَن لم يؤمِنْ بالكتابِ كلِّه، ومَن لم يستقِمْ علىٰ منهجِ الله.

أما جزاءُ المؤمنين المصدِّقين بكلِّ ما أنزَلَ اللهُ من الوحيِ فأولئك هم الفائزون الآمِنون في الدنيا والآخرة.

(٢) قال تعالىٰ: {وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍۖ وَمَا يَكْفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلْفَٰسِقُونَ} [البقرة:٩٩]؛ فمَن كفر بالقرآنِ فهو الفاسقُ الخارجُ من الرحمة، ومَن آمن به فهو الفائزُ بالجنَّة والرضوان.

المبحث الخامس:

أهل القرآن هم العاملون به، المخلصون لربهم

(١) قال اللهُ تعالىٰ: {ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَتۡلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۗ وَمَن يَكۡفُرۡ بِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ} [البقرة:١٢١]؛ أي: المؤمنون الذين امتنَّ اللهُ عليهم بالكتابِ يتبعونه، فيُحِلُّون حلالَه، ويُحرِّمون حرامَه، ويعملون بمُحكَمِه، ويؤمنون بمُتشابِهِه؛ هؤلاء هم المؤمنون حقًّا، وهم أهلُ الله وخاصَّتُه.

(٢) قال النبيُّ ﷺ: «إنَّ للهِ أَهْلِينَ مِنَ النَّاسِ». قيل: مَن هم يا رسولَ الله؟ قال: «**أَهْلُ الْقُرْآنِ هُمْ أَهْلُ اللهِ، وَخَاصَّتُهُ**»[١].

(٣) وقال ﷺ: «**يُؤْتَى بِالْقُرْآنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَهْلِهِ الَّذِينَ كَانُوا يَعْمَلُونَ بِهِ تَقْدُمُهُ سُورَةُ الْبَقَرَةِ، وَآلُ عِمْرَانَ كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ، أَوْ ظُلَّتَانِ سَوْدَاوَانِ بَيْنَهُمَا شَرْقٌ، أَوْ كَأَنَّهُمَا حِزْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافَّ، تُحَاجَّانِ عَنْ صَاحِبِهِمَا**»[٢]، وهذا يكونُ لمَن يعمَلُ بالقرآنِ.

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٢١٥)، وأحمد (١٢٢٩٢).

(٢) أخرجه مسلم (٨٠٥).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

(٤) ومعنىٰ قولِه تعالىٰ: {ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَتۡلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ}؛ أي: يعمَلونَ بمُحكَمِه، ويؤمنون بمُتشابِهِه، فهم أهلُ القرآنِ وأهلُ الله وخاصَّتُه.

(٥) قال تعالىٰ: {كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ} [ص:٢٩]؛ أي: ليفهموا مرادَ الله، ويعملوا به.

(٦) قال تعالىٰ: {ٱلَّذِينَ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقَوۡلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحۡسَنَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ} [الزمر:١٨]، فالمتبعون للقرآنِ والسُّنة هم الذين امتَنَّ اللهُ عليهم بالهدايةِ، والعقولِ المستقيمة، والقلوبِ السليمة.

المبحث السادس:

القرآنُ والسُّنةُ دعوةُ إبراهيمَ عليه السلام، ومِنَّةُ اللهِ على هذه الأمة

(١) قال اللهُ تعالىٰ عن دعوةِ إبراهيمَ عليه السلام: {رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُزَكِّيهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ} [البقرة:١٢٩]؛ فقد دعا نبيُّ اللهِ إبراهيمَ عليه السلام ربَّه أن يرزُقَ هذه الأمةَ رسولًا عظيمًا من أبنائها، يتلو عليهم كلامَ الله، ويعلمهم القرآنَ والسُّنةَ اللذين بهما حياةُ القلوب، وزكاةُ النفوس، فاستجاب اللهُ دعاءَ إبراهيمَ عليه السلام، وامتَنَّ علىٰ أمَّةِ محمدٍ ﷺ بمحمدٍ، وبالقرآنِ، والسنةِ، فقال سبحانه: {لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ} [آل عمران:١٦٤]، وقال تعالىٰ: {كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ رَسُولٗا مِّنكُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمۡ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمۡ تَكُونُواْ تَعۡلَمُونَ} [البقرة:١٥١]، وقال تعالىٰ: {وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمۡ تَكُن تَعۡلَمُۚ وَكَانَ فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ عَظِيمٗا} [النساء:١١٣].

www.alukah.net
شبكة الألوكة

(٥) ولذلك قال اللهُ تعالىٰ: في حقِّ أمَّةِ محمدٍ ﷺ: {كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ} [آل عمران:١١٠]؛ فما نالت الأمةُ هذه الخيريةَ إلا ببركة القرآن والسنة اللذين أوحاهما اللهُ لنبيِّ هذه الأمَّة ﷺ.

فلا توجدُ أمةٌ علىٰ وجه الأرض لها كتابٌ يصح نسبتُه إلىٰ الله ولا سنةٌ تصح نسبتُها إلىٰ رسولِ الله إلا أمَّةُ محمدٍ ﷺ، ولا توجد أمةٌ تقيم شعائرَ الله وتحيي دينَ الله في الأرضِ علىٰ منهج الله ورسوله إلا أمَّةُ محمدٍ ﷺ، ولذا فهي خيرُ أمةٍ استقامت، وأمَرَتْ ونَهَتْ، كما أمر اللهُ تعالىٰ.

والقرآنُ أعظمُ مِنَّةٍ مَنَّ اللهُ بها علىٰ خلقه؛ قال اللهُ تعالىٰ: {وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ} [الحجر:٨٧]: يبيِّنُ اللهُ تعالىٰ أنه امتَنَّ علىٰ رسولِه ﷺ بأن آتاه سبعًا من المثاني، وهي سورةُ الفاتحة التي تُثنَّىٰ في كل صلاةٍ؛ بل في كل ركعةٍ، تُقرَأ وتكرر بما فيها من الأحكام الجامعة للتوحيدِ وعلوم الشريعة، وكذلك السور السبع

الطوال (البقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة، والأنعام، والأعراف، والأنفال مع التوبة كما قال كثيرٌ من أهل العلم).

فآتاهم اللهُ الفاتحةَ وهذه السورَ، والقرآنُ الكريمُ كاملًا محضُ امتنانٍ وفضلٍ منه سبحانه علىٰ محمدٍ ﷺ وأمَّتِه، وعطَفَ القرآنَ العظيمَ علىٰ السبع المثاني من باب عطفِ العامِّ علىٰ الخاص؛ لكثرة ما في المثاني من التوحيد وعلوم الغيب والأحكام الجليلة وتثنيتها فيها.

وهذا القرآنُ هو أفضلُ ما يتنافس فيه المتنافسون، وأعظمُ ما فرِحَ به المؤمنون، قال اللهُ تعالىٰ: {قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ} [يونس:٥٨].

ولهذا قال بعدها: {لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ ۝٨٨} [الحجر:٨٨]؛ أي: لا تشغَلُك زخارفُ الدنيا، ولا تعجب بها؛ فإنها زائلةٌ فانية، وانشغل بالقرآنِ والسُّنة، فهو الخيرُ والنعيم الدائم الباقي في الدنيا والآخرة.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قال اللهُ تعالىٰ: {لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ} [آل عمران:١٦٤].

وجوب حمد الله وشكره علىٰ نعمة إنزال القرآن:

قال اللهُ تعالىٰ: {ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ۝١ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا} [الكهف:١-٢]: أجَلُّ نعمةٍ أنزلها اللهُ علىٰ عبادِه القرآنُ الكريمُ الذي أنزله علىٰ الرحمةِ المُهداةِ، والنِّعمةِ المُسداةِ، والسِّراج المنيرِ نبيِّه محمدٍ ﷺ، فحمِدَ اللهُ نفسَه عليها، وفي هذا عظيمُ الإرشادِ والتوجيهِ من الله لعبادِه أن يحمَدوه، وأن يشكروه علىٰ نعمة إنزال القرآن العظيم.

وقد وصفه اللهُ بوصفين عظيمين؛ وهما: الكمالُ من جميع الوجوه، والاستقامةُ بنفي العوج عنه، وإثباتُ أنه قيِّمٌ مستقيم، فنفيُ العوجِ عنه يقتضي أنه ليس في أخباره كذبٌ، ولا في أوامره ونواهيه ظلمٌ ولا عبث، وكونه مستقيمًا يقتضي أنه لا يخبرُ ولا يأمرُ إلا بأجَلِّ الإخبارات التي تملأ القلوبَ معرفةً وإيمانًا وعقلًا، فهو كتاب علمٍ، وتزكيةٌ للقلوب والنفوس.

المبحث السابع:

الذين يعلِّمون القرآنَ ويُبيِّنونَه ولا يَكتُمُونه هم المؤمنون الفائزون

(١) قال اللهُ تعالىٰ: {إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ١٥٩ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيۡهِمۡ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ} [البقرة:١٥٩-١٦٠].

(٢) وقال سبحانه: {إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَشۡتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ مَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ} [البقرة:١٧٤].

فالذين يكتُمونَ القرآنَ والسُّنةَ ليشتروا بذلك الدينِ الدنيا الفانيةَ: هم الملعونون بلعنةِ اللهِ وملائكتِه والمؤمنين، وهم المطرودون من رحمةِ الله، ومأواهم جهنَّمُ، وساءت مصيرًا!

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قال النبيُّ ﷺ: «مَنْ كَتَمَ عِلْمًا يَعْلَمُهُ، جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، مُلَجَّمًا بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ»(١).

وأمَّا الذين يُعَلِّمونَ القرآنَ والسُّنَّةَ ويُبيِّنونَهما للناس فهم خيرُ الخلق؛ لقولِ النبيِّ ﷺ: «خَيرُكُمْ مَن تَعلَّمَ القرآنَ وعلَّمَه»(٢)، ولقوله ﷺ: «مَن علَّمَ آيةً مِن كِتابِ اللهِ كانَ له أَجْرُهَا ما تُلِيَتْ»(٣).

وقد أخذ اللهُ الميثاقَ علىٰ أهلِ العلم أن يُبيِّنوا للناس ما مَنَّ اللهُ به عليهم من علمِ الكتابِ ولا يكتموه، فقال سبحانه: {وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْاْ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًاۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ} [آل عمران:١٨٧].

فالذي يكتم العلم يقع في معصيتين: الأولىٰ: كتمانُ ما أنزل اللهُ. والثانية: غِشُّ المسلمين.

(٣) قال اللهُ تعالىٰ: {إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٢٦٥)، وأحمد (١٠٤٨٦).

(٢) أخرجه البخاري (٥٠٢٧).

(٣) انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة (١٣٣٥).

وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ يَرۡجُونَ تِجَٰرَةٗ لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمۡ أُجُورَهُمۡ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ غَفُورٞ شَكُورٞ} [فاطر:٢٩-٣٠]؛ أي: الذين يتبعون القرآنَ والسنةَ ويُصدِّقونَهما، ويَعتقِدونَ ما فيهما ويتلونَهما ويُعلِّمونَهما، ويتحاكمون إليهما: قد فعلوا أعظمَ تِجارةٍ مع الله تعالىٰ، وهي التجارةُ التي لا تخسَرُ أبدًا، لهم أجورُهُم في الدنيا والآخرة، ولهم المغفرةُ والشُّكرُ من اللهِ علىٰ ذلك.

المبحث الثامن:

القرآن نزل ليَحكُمَ بين الناس

(١) قال اللهُ تعالىٰ: {إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِتَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُۚ وَلَا تَكُن لِّلۡخَآئِنِينَ خَصِيمٗا ﴿١٠٥﴾} [النساء:١٠٥]: فالقرآنُ نزل بالحقِّ محفوظًا من الشياطين، ومن التحريفِ والتبديل، ومشتملًا علىٰ الحقِّ، فأخبارُه صدقٌ، وأوامرُه ونواهيه عدل، وأنزله اللهُ ليحكُمَ بين الناس في نزاعاتهم وقضاياهم، وفي الدماء، والأموال، والأعراض، وكل شيء.

فكما أن اللهَ أنزل القرآنَ والسُّنةَ علىٰ النبيِّ ﷺ ليُبيِّنَ للناس مرادَ الله تعالىٰ- كما في قوله: {وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ

www.alukah.net
شبكة الألوكة

إِلَيْهِمْ} [النحل:٤٤]- كذلك من هذا البيانِ الحكمُ بينهم بما أنزلَ اللهُ في الكتابِ والسُّنة؛ لأنهما يشتملان علىٰ حكمِ الله تعالىٰ، {وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ} [المائدة:٥٠].

وقد توعَّد اللهُ مَن لم يحكُمْ بالقرآن والسُّنة، فقال: {وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ} [المائدة:٤٤]، وقال: {وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ} [المائدة:٤٥]، وقال: {وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ} [المائدة:٤٧].

المبحث التاسع:

علم الكتاب والسُّنة هو أجلُّ وأعظمُ علمٍ على الإطلاق؛ بل هو العِلمُ الحقيقي الذي مَن جهِلَه فهو الجاهلُ

(١) قال اللهُ تعالىٰ: {وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا} [النساء:١١٣]:

فأعظمُ مِنَّةٍ امتَنَّ اللهُ بها علىٰ النبيِّ محمدٍ ﷺ وعلىٰ أُمَّتِه نعمةُ إنزالِ القرآنِ العظيم والسُّنة المطهرة، وعلَّمه اللهُ ما لم يكُنْ يعلَمُ من

قبل، كما قال اللهُ تعالىٰ: {وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ} [العنكبوت:٤٨]، وكذلك علَّمَنا؛ قال سبحانه: {كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ} [البقرة:١٥١]؛ ولذلك ختَمَ الآيةَ بقوله: {وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا}.

فأعظمُ فضلٍ من الله علىٰ العبدِ أن يُعلِّمَه القرآنَ والسُّنةَ، فهما الوحيُ الذي أوحاه الله وعلَّمَه لخيرةِ خلقه؛ لذلك كان علمُ الشريعة هو أجلَّ العلومِ، وأشرَفَها علىٰ الإطلاقِ، قال النبيُّ ﷺ: «**خَيرُكُم مَن تَعَلَّمَ القُرآنَ وعلَّمَه**»، فمَن برَعَ في علومِ الدنيا وارتقىٰ لأعلىٰ الشهاداتِ والمناصبِ وجهل بالقرآنِ و السُّنة فهو جاهلٌ، مهما بلغ من علومِ الدنيا؛ لأن الأصلَ هو العلمُ بالوحيِ الإلهيِّ الذي أنزله اللهُ ليَعبُدَه الناسُ به، فبدونه لا يستطيعون عبادةَ ربِّهم كما أراد.

ومن العجبِ أن نرىٰ أستاذًا ودكتورًا وعميدَ كليةٍ ورئيسَ جامعةٍ ووزيرًا ورئيسًا ومهندسًا وطبيبًا ومحاميًا ومحاسبًا ومدرسًا... إلخ

وهم لا يُحسِنون قراءةَ القرآن، ولا أداءَ العباداتِ علىٰ الوجه الصحيح؛ انصرفوا عن ذلك كلِّه، واجتهدوا في تعلُّمِ اللغاتِ الأجنبية، والعلوم الدنيوية من الرياضيات، والفيزياء، والكيمياء، والجيولوجيا، وعجزوا علىٰ أن يتعلموا أصلَ العلومِ؛ الوحيَ الإلهيَّ الذي أنزله اللهُ إليهم ليُبيِّنَ لهم الحقَّ من الباطلِ، والهدىٰ من الضلالِ، والجنَّةَ من النار، فما قيمةُ هذه العلوم كلِّها بدون علمِ الكتابِ والسُّنة، فاللهُ تعالىٰ ما خلق الخلقَ إلا ليعبدوه، ولن يستطيعوا أن يعبدوه إلا بعلمِ القرآنِ والسُّنة، فمن جهِلَ ومَن حُرِم خيرَهما فقد حُرِمَ!

المبحث العاشر:

القرآن برهان ونور وحجة الله الساطعة القاطعة

(١) قال اللهُ تعالىٰ: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُم بُرۡهَٰنٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ نُورٗا مُّبِينٗا ١٧٤ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱعۡتَصَمُواْ بِهِۦ فَسَيُدۡخِلُهُمۡ فِي رَحۡمَةٖ مِّنۡهُ وَفَضۡلٖ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَيۡهِ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا} [النساء:١٧٤-١٧٥]: البرهانُ هو الحُجَجُ القاطعةُ، والبراهين الساطعة لبيانِ الحقِّ وتوضيحِه بالأدلة العقلية، والنقلية، والآيات النفسية، والكونية، والأفقية، {سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّۗ أَوَ لَمۡ يَكۡفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ} [فصلت:٥٣].

وكلُّ ذلك مُبَيَّنٌ في النور المبين الذي أنزله اللهُ؛ ألا وهو الوحيُ المعظَّمُ؛ القرآنُ والسُّنة.

فقد اشتمل القرآنُ علىٰ علوم الأولين والآخرين، وعلىٰ الأخبارِ الصادقة النافعة، والأمرِ بكلِّ خير، والنهي عن كل شر، فمَن آمن بالله وكتابه وسنةِ نبيِّه وعمل بهما أدخله اللهُ في رحمتِه وفضله، وهداه إلىٰ الصراطِ المستقيم، ومتَّعَه في جنَّاتِ النعيم.

ومَن لم يؤمن باللهِ ولم يعتصِمْ بكتابه وسنة نبيه مُنِع الرحمةَ، وحُرِم الفضلَ، وكان من أصحابِ الجحيم(١).

(٢) وقال اللهُ تعالىٰ: {قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ۝١٥ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ} [المائدة:١٥-١٦]: النورُ هو القرآنُ، وهو الكتابُ المبين لكلِّ ما يحتاج الخلقُ إليه من أمورِ دينِهم ودنياهم، عقيدةً وعبادةً ومعاملةً وأخلاقًا وسلوكًا، وأحكامًا وعقوباتٍ، وهو سبيلُ الهدىٰ والرشاد، ويُخرِج الناسَ من ظلمات الشرك والكفر والبدعة والمعصية إلىٰ نور التوحيدِ والإيمانِ والسُّنة والطاعة.

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٧/ ١٨٧)، والسعدي (ص٧٥٢).

المبحث الحادي عشر:

القرآن مصدِّق لجميع الكتب المنزَّلة ومُهَيمِنٌ عليها

(١) قال اللهُ تعالىٰ: {وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ} [المائدة:٤٨]: فالقرآنُ العظيمُ هو أفضلُ وأجلُّ الكتب الإلهية، أنزله اللهُ بالحق، مشتملًا علىٰ الحق في أخباره وأوامره ونواهيه، ومصدقًا لما جاء من أصول الدِّين والشرائع في الكتب السابقة عليه، وهو الكتابُ المهيمن؛ أي: المشتملُ علىٰ ما اشتملت عليه كتبُ الأنبياء السابقين وزيادةٍ عليها في المطالبِ الإلهية، والأخلاق النفسية، كما أنه ناسخٌ لبعضِ أحكامها، فيه نبأُ السابقين واللاحقين، والحكمُ والحِكمةُ، فكلُّ ما ورد مما في أيدىٰ اليهود والنصارىٰ وغيرهم مما يخالف القرآن فهو كذِبٌ مَحضٌ علىٰ اللهِ تعالىٰ.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

المبحث الثاني عشر:

وجوب التحاكم للقرآن والسُّنة، وكلُّ حُكمٍ يخالفهما فهو جاهليٌّ

(١) قال تعالىٰ: {فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡحَقِّ} [المائدة:٤٨].

(٢) وقال: {وَأَنِ ٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ وَٱحۡذَرۡهُمۡ أَن يَفۡتِنُوكَ عَنۢ بَعۡضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ} [المائدة:٤٩].

(٣) وقال تعالىٰ: {أَفَحُكۡمَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ يَبۡغُونَۚ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكۡمٗا لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ} [المائدة:٥٠].

(٤)وقال تعالىٰ: {فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا} [النساء:٦٥].

فكلُّ قانونٍ أو عُرفٍ يخالف شرعَ الله يتحاكم إليه الناسُ فهو حكمٌ جاهليٌّ؛ بل هو طاغوت يعبد من دون الله؛ لقول الله تعالىٰ: {أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزۡعُمُونَ أَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدۡ أُمِرُوٓاْ أَن يَكۡفُرُواْ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمۡ ضَلَٰلَۢا بَعِيدٗا ٦٠} [النساء:٦٠].

المبحث الثالث عشر:

القرآن كتابٌ مُبارَكٌ كثيرُ الخير عظيمُ النفع

(١) قال تعالىٰ: {وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ} [الأنعام:٩٢]؛ أي: هذا القرآنُ العظيمُ الذي أنزله الله كتابٌ مبارك؛ أي: كثير الخير، عظيم النفع، فهو حبل الله المتين، وصراطُه المستقيم، مَن تمسَّك به نجا وهُدِيَ إلىٰ طريقِ جنَّات النعيم، حوىٰ العلومَ والحكمَ الباهرة الكثيرة، جاء آمرًا بكل خيرٍ، ناهيًا عن كل شر، من قرأ حرفًا منه فله عشرُ حسنات، ومن تدبَّره وعلِم تفسيرَه وفقهَه وأحكامَه كان من العابدين الراشدين، ومن عمل به واحتكم إليه كان من الناجين الفائزين، وكان شرفًا وعزًّا في الدنيا والآخرة.

(٢)قال تعالىٰ: {كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ} [ص:٢٩]؛ أي: فيه خيرٌ كثير، وعلمٌ عزيز، وهدًى من الضلالة، وشفاءٌ من الأدواء، ونورٌ يُستضاء به في الظلمات؛ قال سبحانه: {وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} [الأنعام:١٥٥].

المبحث الرابع عشر:

وجوب تدبر القرآن وفهم معانيه وأحكامه

(١) قال اللهُ تعالىٰ: {أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا} [النساء:٨٢].

(٢) وقال سبحانه: {أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ} [محمد:٢٤].

(٣) وقال تعالىٰ: {كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ} [ص:٢٩].

فأفضلُ علمٍ علىٰ الإطلاق هو علمُ تفسير القرآن؛ لأنه تدبُّرٌ وفهمٌ لكلامِ الله ومرادِه، وما أنزل اللهُ القرآنَ إلا لنتدبَّرَه ونعملَ به، {لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ}.

ولا يتدبَّرُه ويعملُ به إلا ذوو العقول السليمة الذين تفضل اللهُ عليهم بذلك؛ لأن تدبرَ القرآن يملأ القلبَ إيمانًا ونورًا وحكمةً ويقينًا، ويُعرِّف المؤمنَ بربِّه، ويَحمِلُه علىٰ تعظيمه حقَّ التعظيم، وعلىٰ خشيته بالغيبِ والشهادة، ويدل علىٰ كل خيرٍ، ويُحذِّرُ من كل شر.

قال اللهُ تعالىٰ: {ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُصَرِّفُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَفۡقَهُونَ} [الأنعام:٦٥]؛ أي: نُبيِّنُها ونوضِّحها لعلهم يفقهون ويتدبَّرون عن الله آياتِه وحُجَجَه وبَراهينَه(١).

وقال النبيُّ ﷺ عن قراءة القرآن: «**لَا يَفْقَهُهُ مَنْ قَرَأَهُ فِي أَقَلَّ مِنْ ثَلَاثٍ**»(٢)؛ أي: لا بدَّ من تدبره وفهمه.

ولأهمية الفهمِ عن الله وتدبر القرآن والسنة دعا النبيُّ ﷺ لابن عباسٍ قائلًا: «**اللهُمَّ فقِّهْهُ فِي الدِّينِ، وعَلِّمْهُ التأويلَ**»(٣)، وقال ﷺ: «**اللَّهُمَّ عَلِّمْهُ الْحِكْمَةَ، وَتَأْوِيلَ الْكِتَابِ**»(٤).

وهذا الفهمُ للكتاب والسُّنة هو الذي قدَّم ابنَ عباسٍ ﷺ علىٰ غيرِه رغمَ صِغَرِ سِنِّه ضمن مجلس شورىٰ أمير المؤمنين عمرَ بن الخطاب ﷺ، قال ابنُ عباس: كان عمرُ يُدخِلُني مع أشياخ بدرٍ، فقال

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٣/ ٢٧٧).

(٢) أخرجه أبو داود (١٣٩٠)، والترمذي (٢٩٤٦)، وابن ماجه (١٣٤٧)، وأحمد (٦٥٣٥).

(٣) أخرجه البخاري (١٤٣).

(٤) أخرجه ابن ماجه (١٦٦).

بعضهم: لِمَ تُدخِلُ هذا الفتىٰ معنا ولنا أبناءٌ مثله؟ فقال: إنه ممَّن قد علِمتم.

فدعاهم ذات يومٍ ودعاني معهم، وما رأيتُه دعاني يومئذٍ إلا ليُرِيَهم منِّي، فقال: ما تقولون في: {إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًا}؟

فقال بعضُهُم: أُمِرْنا أن نحمَدَ اللهَ ونستغفرَه إذا نُصِرنا وفُتِح علينا.

وقال بعضُهُم: لا ندري. أو لم يقُلْ بعضهم شيئًا.

فقال لي: ابن عباس، كذاك تقول؟ قلت: لا. قال: فما تقول؟

قلت: هو أجَلُ رسولِ الله ﷺ، أعلمه اللهُ له، {إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١} فتحُ مكةَ، فذاك علامةُ أجلِك، {فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًا}.

قال عمرُ: ما أعلَمُ فيها إلا ما تعلَمُ[1].

ولذلك كانت أشدُّ عقوبةٍ يُعاقَب بها إنسانٌ في هذه الدنيا أن يصرفَه

---

(١) أخرجه البخاري (٤٢٩٤).

الله عن فهم القرآن والسُّنة؛ قال اللهُ تعالىٰ: {سَأَصۡرِفُ عَنۡ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ} [الأعراف:١٤٦]؛ قال سفيانُ بنُ عُيَينةَ: أنزع عنهم فهمَ القرآنِ، فأصرفهم عن آياتي[1].

ولذلك كان أشدَّ الناس بلادةً وقلةَ فهمٍ المنافقون، قال اللهُ عنهم: {وَمِنۡهُم مَّن يَسۡتَمِعُ إِلَيۡكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُواْ مِنۡ عِندِكَ قَالُواْ لِلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهۡوَآءَهُمۡ} [محمد:١٦].

ومن أعظمِ فوائد تدبُّرِ القرآن وفهم آياته أنه يورث خشيةَ الله تعالىٰ بالغيبِ والشهادة، قال اللهُ تعالىٰ: {ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٍ} [الزمر:٢٣]، وقال سبحانه: {إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْ} [فاطر:٢٨].

---

(١) أخرجه أبو الشيخ الأصبهاني في العظمة رقم (٥٨).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فمَن كان بالله أعلمَ ولكتابه وسنةِ رسوله أفهمَ وأفقهَ كان أعظمَ الناس خشيةً، ولذلك لما كان النبيُّ ﷺ أفقهَ الناس وأعلَمَهم كان أتقاهم وأخشاهم للهِ تعالىٰ، قال ﷺ: «**أَمَا وَاللهِ، إِنِّي لَأَتْقَاكُمْ لِلَّهِ، وَأَخْشَاكُمْ لَهُ**»(١).

ولذلك كان النبيُّ ﷺ وأصحابُه إذا قرؤوا القرآنَ بالليل سُمِع لهم أزيزٌ كأزيزِ المِرْجَلِ- أي: مثل صوت الماء الذي يغلي في القدر- من تدبُّرِهم للقرآنِ الذي أورث الخشيةَ في قلوبهم.

وتدبُّرُ القرآنِ يورث العملَ الصالحَ الصواب.

قال الحسنُ بن عليٍّ ﷺ: إن مَن كان قبلكم رأوا القرآن رسائل من ربهم، فكانوا يتدبرونها بالليل، يتفقدونها بالنهار.

وقال ابن عباسٍ ﷺ: ضمِن اللهُ لمَن قرأ القرآنَ وعمل بما فيه ألا يضِلَّ في الدنيا، ولا يشقىٰ في الآخرة، وتلا قوله تعالىٰ: {فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ

(١) أخرجه مسلم (١١٠٨).

مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ} [طه:١٢٣][١].

وقال شيخُ الإسلام ابن تيميَّة رحمه الله: «من أصغىٰ إلىٰ كلامِ الله وكلام رسولِه بعقله وتدبَّره بقلبِه وجد فيه من الفهمِ والحلاوةِ والهدىٰ وشفاء القلوب والبركة والمنفعة ما لا يجدُه في شيءٍ من الكلام، لا منظومه، ولا منثورِه»[٢].

وقال ابنُ القيِّم رحمه الله: «فليس شيءٌ أنفعَ للعبد في معاشه ومعاده وأقربَ إلىٰ نجاته من تدبُّر القرآن، وإطالة التأمل فيه، وجمع الفكر في معاني آياته»[٣].

وقال السعديُّ رحمه الله: فإنَّهم لو تدبَّروه لدَلَّهم علىٰ كل خيرٍ، ولحذَّرَهم من كل شرٍّ، ولملأ قلوبَهم من الإيمانِ، وأفئدتَهم من الإيقان، ولأوصلهم إلىٰ المطالبِ العالية، والمواهبِ الغالية، ولَبَيَّن لهم الطريقَ الموصلة إلىٰ الله وإلىٰ جنته...، ولعرفهم بربِّهم وأسمائه

---

(١) التبيان في آداب حملة القرآن للنووي (ص٥٤).

(٢) اقتصاء الصراط المستقيم (ص٣٨٤).

(٣) مدارج السالكين (١/ ٤٧٥).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وصفاته وإحسانه، ولشوَّقَهم إلىٰ الثواب الجزيل، ورهَّبَهم من العقاب الوبيل[١].

ولذا دعا اللهُ تعالىٰ أربابَ العقول السليمة لتدبُّر القرآن فقال: {كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ} [ص:٢٩].

وشدد النكير علىٰ مَن لم يتدبَّرِ القرآنَ، وأعرض ولم يعمل بأحكامه، فقال: {أَفَلَمْ يَدَّبَّرُواْ ٱلْقَوْلَ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ} [المؤمنون:٦٨].

ونعىٰ علىٰ الذين لا يتدبرون ولا يستنبطون المعانيَ، فقال: {أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِۦ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ} [النساء:٨٢-٨٣].

ووبَّخَ المنافقين المعرضين، فقال: {أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ} [محمد:٢٤].

---

(١) انظر: تفسير السعدي (ص٧٨٨).

من مظاهر تدبُّرِ النبيِّ ﷺ والصحابةِ والتابعين للقرآن:

١-كان النبيُّ ﷺ يقرأ القرآنَ في قيامِ الليل وغيره مترسِّلًا؛ أي: مرتلًا متدبِّرًا، إذا مرَّ بآيةٍ فيها تسبيحٌ سبَّحَ، فإذا مرَّ بسؤالٍ سأل، وإذا مرَّ بتعوُّذٍ تعوَّذَ، كما قال حذيفةُ بنُ اليمان ﷺ حين صلَّىٰ معه قيامَ الليل[(١)].

٢-أمر النبيُّ ﷺ عبدَ الله بنَ مسعودٍ أن يقرأ عليه القرآنَ، فقرأ من سورة النساءِ حتىٰ بلغ: {فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾ يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَعَصَوُا۟ ٱلرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا} [النساء: ٤١-٤٢]، فقال ﷺ: «حَسْبُكَ». قال ابن مسعودٍ: فإذا عيناه تذرفان[(٢)]. أي: بسبب التدبُّر.

---

(١) أخرجه مسلم (٧٧٢).

(٢) أخرجه البخاري (٤٥٨٣).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

٣-قال ابن مسعودٍ ﷺ: كان الرجلُ منا إذا تعلم عشر آياتٍ لم يجاوَزْهنَّ حتىٰ يعرفَ معانيَهنَّ والعمل بهن[١].

وقال ابنُ مسعودٍ ﷺ: «مَن أراد العلمَ فليتبوَّأْ من القرآنِ؛ فإنَّ فيه علمَ الأوَّلِينَ والآخِرينَ»[٢].

٤-قال ابنُ عباسٍ ﷺ: ركعتان في تفكُّرٍ خيرٌ من قيام ليلةٍ بلا قلبٍ[٣].

المبحث الخامس عشر:

القرآن كتاب مفصَّل تام

قال اللهُ تعالىٰ: {أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا ۚ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١١٤﴾ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ} [الأنعام:١١٤-١١٥]؛ أي: أُنزِلَ إليكم القرآنُ موضَّحًا فيه الحلالُ والحرامُ، والأحكامُ

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١/ ٧٤)، وابن كثير (١/ ٨).

(٢) انظر: تفسير ابن كثير (١/ ٩٧).

(٣) انظر: تفسير ابن كثير (٢/ ١٨٥).

الشرعية، وأصول الدين وفروعه، فلا بيانَ فوق بيانه، ولا برهانَ أحلىٰ من برهانه، ولا أحسن منه حكمًا، ولا أقوم قيلًا، وتمَّت كلماتُه صِدقًا في الأخبار، وعدلًا في الأحكام، في الأوامر والنواهي، ولا مبدِّلَ لكلماته حيث حفظها وأحكمها بأعلىٰ أنواعِ الصدق، وبغاية الحقِّ، فلا يمكنُ تغييرُها، ولا اقتراحُ أحسنَ منها، قال تعالىٰ: {وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ} [المائدة:٥٠]، وقال: {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ} [الحجر:٩].

قال اللهُ تعالىٰ: {كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝٣ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ} [فصلت:٣-٤]؛ أي: أن هذا القرآنَ العظيمَ المنزَّلَ من الله الرحمن الرحيم علىٰ قلب النبيِّ محمدٍ ﷺ كتابٌ بُيِّنت آياتُه تمامَ البيان، ووُضِّحت معانيه وأحكامه باللفظ العربي الميسَّر فهمُه لمَن علم اللسان العربي.

المبحث السادس عشر:

وجوب اتباع القرآن والسنة

قال اللهُ تعالىٰ: {كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيۡكَ فَلَا يَكُن فِي صَدۡرِكَ حَرَجٞ مِّنۡهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ٢ ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ} [الأعراف:٢-٣]؛ أي: أن القرآنَ كتابٌ عظيمٌ، وذِكرٌ حكيم، أنزله الله إليك وإلىٰ مَن تبعك، فاقبله بانشراح صدرٍ، وسلامة قلبٍ، وطمأنينة نفس، وهذا الكتاب أنزله اللهُ إليك لتنذرَ به الخلقَ، وتَعِظَهم، وتُعلِّمَهم، وتأمرَهم، وتنهاهم، وتُبلِّغَهم دعوةَ الله لخلقه، {وَذِكۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ٢} ؛ أي: ليعمَلوا به، ويستقيموا علىٰ هديه، {ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ}؛ أي: اتَّبِعوا القرآنَ والسنةَ، ولا تتبعوا غيرَهما في جميع شؤون حياتكم؛ ففيهما العلمُ النافع والعمل الصالح، مَن تمسَّك بهما نجا وهُدِيَ إلىٰ صراطٍ مستقيم، ومَن انحرف عنهما زاغ قلبُه، وكان من أصحابِ الجحيم.

فلا ينتفعُ بالقرآن والسنة إلا مَن اتبعهما، واستقام علىٰ نهجهما، قال النبيُّ ﷺ: «**يُؤْتَى بِالْقُرْآنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَهْلِهِ الَّذِينَ كَانُوا يَعْمَلُونَ بِهِ**

تَقْدُمُهُ سُورَةُ الْبَقَرَةِ وَآلُ عِمْرَانَ كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ، أَوْ ظُلَّتَانِ سَوْدَاوَانِ بَيْنَهُمَا شَرْقٌ، أَوْ كَأَنَّهُمَا حِزْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافَّ، تُحَاجَّانِ عَنْ صَاحِبِهِمَا»[(١)].

وهذا الفضلُ لا يكون إلا في حقِّ الذين كانوا يعمَلونَ به في الدنيا.

قال اللهُ تعالىٰ: {وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحۡسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلۡعَذَابُ بَغۡتَةً وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ} [الزمر:٥٥]؛ أي: التزموا الأوامرَ والنواهيَ الواردةَ بالقرآن والسنة، وكونوا من العاملين بها الفائزين، قبل الحسرة والندامة، فإن من انحرف عنها فإنه من المعذبين المتحسرين يومَ لا ينفعهم الندم.

وقد عاب اللهُ علىٰ الكفار استماعَهم القرآنَ، ثم لا يتبعونه، ولا يؤمنون به، ولا يعملون به، فقال عنهم: {فَمَا لَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ۝٢٠ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقُرۡءَانُ لَا يَسۡجُدُونَ ۩} [الانشقاق:٢٠-٢١]؛ أي: لا يخضعون للقرآنِ، ولا ينقادون لأوامره ونواهيه[(٢)].

---

(١) تقدم تخريج الحديث، وانظر: تفسير السعدي (ص٤٨٣).

(٢) انظر: تفسير السعدي (ص٩١٧).

المبحث السابع عشر:

مَثَلُ مَن آتاه اللهُ القرآنَ والسنة ولم يعمَلْ بهما وجزاؤه

قال اللهُ تعالىٰ: {وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ سَآءَ مَثَلًا ٱلْقَوْمُ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ} [الأعراف:١٧٥-١٧٧]؛ أي: واذكر يا محمدُ خبرَ هذا الذي علَّمْناه القرآنَ والسنةَ، فلم يعمَلْ بهما، واتبع شيطانَه، فكان من المنحرفين، ولو شاء الله لثبَّتَه علىٰ دينه، ووفقه للعمل بهما، ولكنه بشؤم اتباعه للهوىٰ بفعل المعاصي والبدع لم يُوفَّقْ ولم يُسدَّدْ.

فمثلُه في تعلقه بالدنيا وانحرافه عن منهج الله باتباع هواه وارتكابه للمعاصي ووقوعه في البدع والمحدثات كمثلِ الكلبِ الذي لا يزال لاهثًا مدلِّيًا لسانَه علىٰ كل حالٍ، فهو حريصٌ علىٰ الدنيا، لا يشبع منها، ولا يسُدُّ حاجتَه شيءٌ منها.

فهذا مَثَلٌ لمَن آتاه اللهُ وحيَه وعلَّمَه إياه، ثم كذَّب ولم يعمَلْ به؛ لخُبثِ نيَّتِه وفسادِ قلبه.

وهذا مَثَلٌ ضربه اللهُ لأخذ العبرة والعظةِ منه، فبئس حالُ مَن كذَّب بالوحي، وانحرف عنه ولم يعمَلْ به، فقد ظلم نفسَه باتباع المعاصي والبدع!

المبحث الثامن عشر:

أكبر عقوبة يُبتلى بها المرء الحرمان من القرآن والسنة تعلمًا وفهمًا وتلاوة وعملًا وتحاكمًا

قال اللهُ تعالىٰ: {سَأَصۡرِفُ عَنۡ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَإِن يَرَوۡاْ كُلَّ ءَايَةٖ لَّا يُؤۡمِنُواْ بِهَا وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلرُّشۡدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗا وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلۡغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗاۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنۡهَا غَٰفِلِينَ ١٤٦ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآءِ ٱلۡأٓخِرَةِ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡۚ هَلۡ يُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ}

[الأعراف:١٤٦-١٤٧].

المبحث التاسع عشر:

فضل الاستماع والإنصات للقرآن

قال اللهُ تعالىٰ: {وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} [الأعراف:٢٠٤]: وهذا الأمرُ من الله عامٌّ في كلِّ مَن سمِعَ القرآنَ يُتلىٰ، فإنه مأمورٌ بالاستماع والإنصات، **ومعنىٰ الإنصات**: الاشتغالُ بسماعِ القرآنِ، وعدم الاشتغال بالتحدث مع الآخرين، ونحو ذلك، **ومعنىٰ الاستماع**: أن يلقيَ المرءُ سمعَه، ويحضرَ قلبه ويتدبَّرَ ما يستمع.

فمَن حافَظَ علىٰ هذين الأمرين- أي: الإنصاتِ والاستماعِ للقرآن- غمَرَه اللهُ برحمتِه؛ ولذلك قال النبيُّ ﷺ لعبد الله بن مسعودٍ رضي الله عنه: «**اقْرَأْ عَلَيَّ القرآنَ**». فقال: يا رسولَ الله، أقرأ عليك وعليك أُنزِلَ؟ قال: «**إِنِّي أُحِبُّ أن أسمَعَه من غيري**»(١).

فسماعُ القرآن والإنصاتُ له وتدبُّرُه من أجلِّ العبادات.

---

(١) سبق تخريجه.

والأصل في القرآن أنه لا يؤخذ إلا سَماعًا، كما سمعه جبريلُ من ربِّ العِزَّةِ سبحانه، وسمعه النبيُّ ﷺ من جبريلَ عليه السلام، وسمعه الصحابةُ الكرامُ من النبيِّ ﷺ.

ولمَّا كان لسماعِ القرآن أعظمُ الأثر في القلوب قال الذين كفروا: {لَا تَسْمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْاْ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ} [فصلت:٢٦]؛ ولهذا كان النبيُّ ﷺ حريصًا علىٰ سماع القرآن من جبريلَ ومن أصحابه وتلاميذه، فسمعه من أبي موسىٰ الأشعريِّ رضي الله عنه، وكان يحب سَماعَه منه، وسمعه من عبد الله بن مسعودٍ رضي الله عنه حينما كان يصلي قيامَ الليل في المسجد، وقرأ عليه سورةَ النساء، وسمِعَه من غيرهم.

ولما سمعت الجِنُّ القرآنَ من رسول الله ﷺ وأنصتوا أسلموا، وآمَنوا، وولَّوا إلىٰ قومِهم منذرين، {وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْاْ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُواْ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِيَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ} [الأحقاف:٢٩-٣٢].

وكان صالحو الجِنِّ أسرعَ في الجواب عندما استمعوا وأنصتوا لقولِ الله تعالىٰ: {فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ} [الرحمن]؛ قالوا: **لا بشيءٍ مِن آلائِكَ ربَّنا نُكذِّبُ، فلكَ الحمدُ**. كما ثبت في الحديثِ عن النبيِّ ﷺ[1].

(١) أخرجه الترمذي (٣٢٩١)، والحاكم في المستدرك (٣٨٤٣).

المبحث العشرون: القرآن كتاب حكيم

قال اللهُ تعالىٰ: {الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡحَكِيمِ} [يونس:١]، وقال تعالىٰ: {يسٓ ۝١ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡحَكِيمِ} [يس:١]، وقال سبحانه: {الٓمٓ ۝١ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡحَكِيمِ} [لقمان:١-٢]؛ أي: أنه مشتملٌ علىٰ الحِكمة والأحكام، وهو الذي دلت آياتُه علىٰ الحقائقِ الإيمانية، والأوامر، والنواهي الشرعية، وعلىٰ جميع الأمه تلقِّيه بالرضا والقبول والانقياد(١).

وهو الكتابُ المحكَم بالحلالِ والحرام، والحدود والأحكام، والمواعظ والعلوم.

قال تعالىٰ: {كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ} [هود:١]، وهو الحاكمُ بين الناس بالحقِّ، قال تعالىٰ: {وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِۚ} [البقرة:٢١٣].

وقال تعالىٰ: {الٓمٓ ۝١ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡحَكِيمِ ۝٢ هُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّلۡمُحۡسِنِينَ} [لقمان:١-٣]؛ يشيرُ اللهُ تعالىٰ إلىٰ عظمة هذا

---

(١) انظر: تفسير السعدي (ص٣٥٧).

القرآنِ، وإلىٰ أن آياتِه محكَمةٌ، صدرت من حكيمٍ خبير، ومن إحكامها: أنها جاءت بأجلِّ الألفاظِ، وأفصحها، وأبينها، دالةً علىٰ أحسن المعاني.

وكلُّ ما في الآياتِ من أخبارِ السابقين واللاحقين مطابقٌ للواقع، لم يخالفها كتابٌ سماوي، ولم يُخبِرْ بخلافها نبيٌّ من الأنبياء، ولن يأتيَ علمٌ محسوسٌ ولا معقولٌ صحيح يناقض ما دلت عليه.

وما أمرت هذه الآياتُ إلا بما هو خالص المصلحة أو راجحها، وما نهت عن شيءٍ إلا وهو خالص المفسدة أو راجحها.

وجمعت بين الترغيبِ والترهيب، والوعظِ البليغ الذي ينصلح به القلوب، فلا تناقضَ فيها ولا اختلافَ، مع تَكرار بعض القصص والأحكام.

وهو كتاب يدعو لكلِّ خُلُقٍ كريمٍ، وينهي عن كلِّ خُلُقٍ ذميمٍ.

المبحث الحادي والعشرون:

القرآن موعظة وشفاء وفضل ورحمة للمؤمنين

(١) قال اللهُ تعالىٰ: {يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ} [يونس:٥٧-٥٨]؛ فهذه أوصافٌ جليلة للقرآن وردت في هذه الآية:

أ-**فالقرآن موعظةٌ**؛ أي: وعظٌ وعَظَكم اللهُ به، والوعظُ من أعظمِ أساليب التربية الإيمانية، وتهذيب القلوب، وتطهيرها، ومعرفة الله، والخضوع والانقياد له.

فالموعظة تحذِّر العبدَ وتُنذِرَه من سَخَطِ الله وعقابه؛ لينالَ بها رضا الله وعفوَه وعظيم جزائه.

ب-**القرآن شفاءٌ لما في الصدور** من أمراض الشهوات الصادَّةِ عن الانقيادِ لأوامر الله، ومن أمراضِ الشبهات القادحة في العلم اليقيني، والذي تشكك العبدَ في ربِّه ورسوله وكتابه وسنة رسوله ودينه، وإذا صلح القلبُ من أمراض الشهوات والشبهات صلح الجسدُ كلُّه، وسعِدَ بطاعة الله، ونال رضوانَه وهداه في الدنيا والآخرة.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

جـ-**القرآن هدًى**: فهو كتابُ هدايةٍ للحقِّ إذا عمِلْنا به، فمَن تبِعَه وتمسَّك به هداه اللهُ هدايةَ توفيقٍ وسَدادٍ، كما قال اللهُ تعالىٰ: {إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ} [الإسراء:٩]

وقال {ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ} [البقرة:٢].

د-**القرآن رحمةٌ للمؤمنين**؛ أي: نعمة من الله للمؤمنين يحصُلُ بتعلُّمِها وإتباعِها الخيرُ والإحسانُ، والثواب العاجلُ والآجل.

فالهدىٰ أجَلُّ الوسائل، والرحمة أعظمُ المقاصد والرغائب، وإذا حصل الهدىٰ وحلت الرحمة كانت السعادةُ والفوزُ والفرح والسرور والنجاة والنجاح والفلاح في الدنيا والآخرة.

هـ-**القرآن فضل الله علىٰ المؤمنين**: هو فضلٌ تفضَّل الله به علىٰ عباده، وهو أعظمُ نعمةٍ؛ إذ هو وحيُه وكلامُه الذي أنزله لخلقه ليفوزوا بثوابِه وينجوا من عقابه، فمَن حُرِم القرآنَ حُرِم الفضلَ والرحمة.

والواجبُ علىٰ المسلمين أن يفرَحوا بالقرآنِ والإسلامِ والإيمان والإحسان والسُّنة والطاعة والنبيِّ محمدٍ ﷺ، وأن يلزموا طاعةَ ربِّهم، فهذا كلُّه خيرٌ من الدنيا وما فيها؛ بل {هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ}.

المبحث الثاني والعشرون:
القرآن هو الحق من ربكم

(١) قال اللهُ تعالىٰ: {قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَاۖ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٨﴾ وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَٱصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ} [يونس:١٠٨-١٠٩]؛ أي: قُلْ يا رسولَ الله للناس: قد جاءكم الخبرُ الصادقُ المؤيَّد بالبراهين، الذي لا شكَّ فيه بوجهٍ من الوجوه، فالقرآنُ فيه تِبيانُ كلِّ شيءٍ، فيه الأحكامُ والمطالبُ الإلهية، والأخلاق المرضية، والتربية الربانية، والسعادة الأبدية، فمَن تبع هذا القرآنَ فلا يضِلُّ ولا يشقىٰ في الدنيا والآخرة.

والواجبُ علىٰ المسلمن أن يتعلَّموه ويحفَظوه، ويتدبَّروا ما فيه، ويعمَلوا به، ويتحاكموا إليه، ويُعلِّموه، ويدعوا الناسَ إليه، فإن فعلوا فازوا وعزوا، وهذا لا يتحقق إلا بالصبر.

(٢) قال اللهُ تعالىٰ: {وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ هُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرٌۢ بَصِيرٌ} [فاطر:٣١]؛ أي: أن القرآنَ هو الحق من كثرة ما اشتمل عليه من الحقِّ، كأن الحقَّ

www.alukah.net
شبكة الألوكة

منحصِرٌ فيه، فلا يكُنْ في قلوبِكم حرَجٌ منه، وقد جاء مصدقًا بما جاءت به الرسلُ والكتب من قبل، وجاء مهيمنًا عليها.

(٣) قال تعالىٰ: {تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ۝١ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ} [الزمر: ١-٢]: يخبرُ تعالىٰ عن عظمة القرآن وجلالة من تكلم به، وهو اللهُ العزيزُ الحكيم، وهو سبحانه ذو العزة التي قهر بها كلَّ مخلوقٍ، وذو الحكمة في خلقه وأمره، أنزله بالحقِّ في أخباره وأحكامه وأوامره ونواهيه ومواعظه، فهو كتابُ الهداية الذي أخرجَ اللهُ به من الظلماتِ إلىٰ النور.

والقرآن العظيم نزل بالحقِّ فارقًا بين الهدىٰ والضلال، ولا يزيد أهلَه إلا خشوعًا:

(١) قال اللهُ تعالىٰ: {وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ ۗ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝١٠٥ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ۝١٠٦ قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ۝١٠٧ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ۝١٠٨ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ

وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ [الإسراء:١٠٥-١٠٩]: فالقرآن حقٌّ، نزَلَ بالحقِّ؛ أي: بالصدقِ والعدلِ والحفظ من كلِّ شيطانٍ رجيم، ونزل واضحًا بينًا فارقًا بين الحقِّ والباطلِ والهدىٰ والضلال، ونزل مفرَّقًا علىٰ الأيامِ والسنين والوقائع والأحداث في ثلاثٍ وعشرين سنةً؛ ليُقرَأَ علىٰ مَهَلٍ؛ ليَتَدبَّروه ويتفكروا في معانيه، ويستخرجوا علومَه، ويعملوا به.

فالواجبُ علىٰ جميعِ الناس أن يؤمنوا به، ويتعلموه، ويتبعوا أحكامَه وشرائعَه.

فأهلُ الإيمانِ به والفهم له: إذا تُلِيَ عليهم القرآنُ تأثَّروا به، وخشَعوا وازدادوا إيمانًا، وخَرُّوا للهِ ساجدينَ باكينَ، يرجون رحمتَه ويخافون عذابَه.

(٢) قال اللهُ تعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ لِلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ﴾ [الزمر:٤١]؛ أي: أن اللهَ أنزل علىٰ رسولِه الكتابَ المشتملَ علىٰ الحقِّ في أخبارِه، وأوامره، ونواهيه، فمَن استقام علىٰ هَدْيِه فهو المهتدي، ومَن انحرف عنه فهو الضالُّ.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

المبحث الثالث والعشرون:

القرآن كتاب صادق الأخبار، عادل الأحكام، فصيح الألفاظ، بليغ المعاني

(١) قال اللهُ تعالىٰ: {الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ} [هود:١]، وقال سبحانه: {حمٓ ۝١ تَنزِيلُ مِنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢ كِتَٰبٌ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ۝٣ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا فَأَعۡرَضَ أَكۡثَرُهُمۡ فَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ} [فصلت:١-٤]: فالقرآن كتابٌ عظيم؛ ونُزُلٌ كريم؛ أُتقِنَتْ آياتُه؛ وأُحسِنتْ كلماتُه، صادقةٌ أخبارُه، فصيحةٌ ألفاظه، بهيَّةٌ معانيه، بليغةٌ مواعظُه، عادلةٌ أوامرُه ونواهيه، حسنةٌ أحكامُه.

و«فُصِّلت آياتُه»؛ أي: مُيِّزت وبُيِّنت بيانًا شافيًا، في أعلىٰ أنواع البيان؛ لأنه من عند الحكيمِ الذي يضع الأشياءَ مواضعَها، ويُنزِلُها منازلَها، لا يأمرُ ولا ينهىٰ إلا بما تقتضيه حكمتُه، فهو الخبيرُ العالم بظواهرِ الأمور وبواطنها.

المبحث الرابع والعشرون: القرآن كتاب عربي مبين

(١) قال اللهُ تعالىٰ: {الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝١ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ} [يوسف:١-٢]: فالقرآن العظيمُ كتابٌ مبين؛ أي: بيِّنٌ واضحٌ في ألفاظه ومعانيه، ومن بيانه وإيضاحه أن اللهَ أنزله باللسانِ العربيِّ، أشرفِ الألسنة وأبينها، المبين لكل ما يحتاجه الناسُ من الحقائق النافعة، وذلك كلُّه ليعقِلَ الناس حدودَه وأصولَه وفروعَه، وأوامرَه، ونواهيَه، ومواعظَه، فبه ترشُدُ العقولُ، وتزداد رفعةً وشرفًا وعزًّا.

(٢) قال تعالىٰ: {الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ وَقُرۡءَانٖ مُّبِينٖ} [الحجر:١]؛ فاللهُ تعالىٰ يُعظِّمُ كتابَه وكلامَه فيقول: {تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ}؛ أي: الآياتُ الدالةُ علىٰ أحسنِ المعاني وأفضل المطالب، {وَقُرۡءَانٖ مُّبِينٖ}: للحقائق بأحسنِ لفظٍ وأوضحه وأدلِّه علىٰ المقصود، كما قال تعالىٰ: {طسٓمٓ ۝١ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ} [الشعراء:١-٢]، وقال تعالىٰ: {طسٓۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡقُرۡءَانِ وَكِتَابٖ مُّبِينٍ ۝١ هُدٗى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ} [النمل:١-٢]، وقال سبحانه: {طسٓمٓ ۝١

www.alukah.net
شبكة الألوكة

تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ} [القصص:١-٢].

وقال سبحانه: {حمٓ ۝١ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝٢ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٣ وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ} [الزخرف:١-٤].

وقال: {حمٓ ۝١ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝٢ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ} [الدخان:١-٣].

وقال: {وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ} [الشورى:٧].

وقال اللهُ تعالىٰ: {وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِيَذَّكَّرُوا۟ وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا} [الإسراء:٤١]؛ أي: نَوَّع الله ووضَّح الأحكامَ في هذا القرآن لعباده، وأكثر من الأدلة والبراهين علىٰ ما دعا إليه، ووعظ به، لأجل أن يعلموا، ويتذكروا ما ينفعهم فيعملوا به، وما يضرهم فينتهوا عنه.

وقال اللهُ تعالىٰ: {وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا} [طه:١١٣]: فالقرآن لفظٌ

عربيٌّ بيِّنٌ واضح، وقد نَوَّع الله فيه من أساليبِ الوعيد، فتارةً بذكر أسمائه وصفاته الدالة علىٰ العدل والانتقام، وتارةً بذكر المَثُلات التي أحلَّها بالأمم السابقة، وتارةً بذكر آثار الذنوب، وتارةً بذكر أهوال القيامة، وذكر جهنمَ وما فيها من صنوفِ العذاب، وكلُّ هذا رحمةٌ بالعباد؛ لعلهم يتقون اللهَ فيتركون الكفر والشرك والبدعة والمعصية، أو يحدث لهم ذكرًا فيعملون بالطاعات.

قال اللهُ تعالىٰ: {وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُواْ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ ۗ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ} [فصلت:٤٤]: فمن فضلِ الله أنه أنزل القرآنَ باللغة العربية، فلو كان بلغةٍ أعجميةٍ لاعترضوا وقالوا: كيف يكون محمدٌ عربيًّا ويُنزَّلُ عليه كتابٌ أعجمي، لولا فُصِّلت آياتُه وبُيِّنت، قال اللهُ تعالىٰ: {قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدًى وَشِفَآءٌ}؛ أي: يَهديهم للصراطِ المستقيم، ويُعلِّمهم العلومَ النافعة، ويشفي قلوبَهم من أمراض الشِّرك والنفاق والكبر والحسد والعجب ونحوه، ويشفي أبدانَهم بالتزام أحكامِه والتزام أخلاقه.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أما الكافرون به فاللهُ أصَمَّ أسماعَهم عن سماعه، وأبصارهم وقلوبهم عن النظر فيه وفهمه والعمل به، فلا يهتدون بهداه، ولا يبصرون بنوره بشؤم كفرهم وإعراضهم، وهم بمنزلة مَن ينادي من مكانٍ بعيدٍ يُدعىٰ فلا يسمعُ ولا يجيب.

المبحث الخامس والعشرون:

التعوذ بالله عند قراءة القرآن العظيم

قال اللهُ تعالىٰ: {فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ} [النحل:٩٨]: فالقرآنُ هو أشرفُ الكتب وأجَلُّها، وفيه صلاحُ القلوب، وفيه العلوم الكثيرة، والشيطان أحرص ما يكونُ علىٰ صرفِ العبد عن الأمور الفاضلة، فيسعىٰ في التشويش علىٰ العبد ليحول بينه وبينها، ولذلك أمر اللهُ تعالىٰ عند الشروع في قراءة القرآن بالاستعاذة بالله من الشيطانِ وكيده للسلامة من شرِّه؛ لأنه لن يعيذَ من شرِّ الشيطان إلا اللهُ الواحدُ القهار.

المبحث السادس والعشرون:

القرآن حجابٌ وسترٌ بين المؤمنين والكافرين

قال اللهُ تعالىٰ: {وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴿٤٥﴾ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۖ وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِى ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَـٰرِهِمْ نُفُورًا ﴿٤٦﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِۦٓ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ إِذْ يَقُولُ ٱلظَّـٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٤٧﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ فَضَلُّوا۟ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا} [الإسراء:٤٥-٤٨]؛ أي: إذا قرأتَ علىٰ هؤلاء المكذبين المتكبرين القرآنَ الذي فيه الإيمانُ والهدىٰ والعلم النافع والعمل الصالح جعلنا بينك وبينهم حجابًا يستُرُهم عن فهمِ القرآن واتباعه، وأغشينا علىٰ قلوبهم، وصمَمْنا أسماعهم، فلا يؤمنون، ولا يهتدون؛ بشؤم كبرهم وتكذيبهم وعنادهم، كما قال تعالىٰ: {سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَـٰتِىَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلْغَىِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا} [الأعراف:١٤٦].

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ومن معاني كون القرآن حجابًا وسترًا بين المؤمنين والكافرين ما ورد عن أسماءَ بنتِ أبي بكر الصديقِ ﷺ قالت: لما نزلت سورة {تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١} [المسد:١] أقبلتِ العوراءُ أمُّ جميلٍ بنتُ حربٍ ولها ولولةٌ وفي يدها فهر- أي: حجر- وهي تقول: «مُذمَّمًا عصَيْنا، وأمرَه أبَيْنا، ودينَه قَلَيْنا».

والنبيُّ ﷺ قاعدٌ في المسجد ومعه أبو بكرٍ، فلما رآها أبو بكرٍ قال: يا رسولَ الله، لقد أقبلت وأنا أخافُ أن تراك، قال رسولُ الله ﷺ: «**إنَّها لن تَرَانِي**»، وقرأ قرآنًا فاعتصم به كما قال وقرأ: {وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا} [الإسراء:٤٥].

فوقفت علىٰ أبي بكر ولم ترَ رسولَ الله ﷺ، فقالت: يا أبا بكرٍ أُخبِرتُ أن صاحبَك هاجاني؟ فقال: لا وربِّ هذا البيتِ ما هجاكِ. قال: فولَّت وهي تقول: قد علِمت قريشٌ أني ابنة سيدها[1].

---

(١) أخرجه الحاكم (٣٣٧٦)، وأبو يعلي (٥٣)، وابن حبان (٦٥١١)، وصححه شعيب الأرناؤوط في تعليقه علىٰ صحيح ابن حبان، وقال: صحيح بشواهده.

وفي روايةٍ: قال أبو بكرٍ: أما رأتك يا رسولَ الله؟ قال: «**لا، ما زالَ مَلَكٌ بَيْنِي وبَيْنَها يَسترُنِي حَتَّىٰ ذَهَبَتْ**».

قال القرطبيُّ رحمه الله في تفسيرِ هذه الآية: ولقد اتَّفقَ لي ببلادِ الأندلس بحصنٍ منثور من أعمال قرطبة مثل هذا، وذلك أني كنتُ أمامَ العدوِّ، وانحزت إلىٰ ناحيةٍ عنه، فلم ألبَثْ أن خرج في طلبي فارسان وأنا في فضاءٍ من الأرض قاعدٌ ليس يسترني عنهما شيءٌ، وأنا أقرأ أولَ سورة يس وغير ذلك من القرآن، فعبرا عليَّ ثم رجعا من حيث جاءا ؛ وأحدهما يقولُ للآخر هذا ديبلة- يعني: شيطانًا- وأعمىٰ الله أبصارَهم، فلم يروني، والحمدُ لله حمدًا كثيرًا علىٰ ذلك[1].

(١) انظر: تفسير القرطبي (١٠/ ٢٧٠).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

المبحث السابع والعشرون:
القرآن الكريم جامع لكل الأمثال

(١) قال اللهُ تعالىٰ: {وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا} [الإسراء:٨٩]؛ أي: نوَّعْنا فيه المواعظَ والأمثال، وذكرنا فيه المعانيَ والأحكامَ التي يحتاج إليها العباد، فجمع الآياتِ والعِبَرَ، والترغيبَ والترهيب، والأوامرَ والنواهيَ، وقصص وتاريخ الأولين وما جرىٰ منهم، وكيف كانت عاقبتهم، وجمع الأحكامَ التي يحتاجونها في الحياة الدنيا، حتىٰ ذكر الجنَّة والنار، ومآلات الناس في القيامة وما هم فيه من نعيم الجنة أو جحيم النار.

(٢) قال اللهُ تعالىٰ: {وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا} [الكهف:٥٤]: فهذا القرآنُ اشتمل علىٰ الحلالِ والحرام، وجميع العلوم النافعة للعبدِ في دينه ودنياه وأخراه.

ولكن أكثرَ الناس به يكفُرونَ، وعليه يجادلون بشؤم كبرهم واتباعهم لأهوائهم، وطاعتهم لشياطينهم، فحرمهم الله نعمةَ القرآنِ أن يكونوا من أهلِه، وكفىٰ بها عقوبةً في الدنيا والآخرة.

(٣) قال اللهُ تعالىٰ: {وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ} [الزمر:٢٧-٢٨]: يخبر اللهُ سبحانه أنه ضرب في القرآن من جميع الأمثال، أمثال أهل الخير، وأهل الشر، وأهل التوحيد والشرك، وكل مثل يقرب حقائق الأشياء، والحكمة في ذلك: {لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ}؛ أي: يعلمون ويعملون.

وهذا القرآنُ أُنزِلَ باللغة العربية، واضحُ الألفاظ، سهلُ المعاني، {غَيْرَ ذِي عِوَجٍ}؛ أي: ليس فيه خللٌ ولا نقصٌ بوجهٍ من الوجوه، لا في ألفاظه، ولا معانيه، كما قال تعالىٰ: {ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ ﴿١﴾ قَيِّمًا} [الكهف:١-٢].

المبحث الثامن والعشرون: القرآن تذكرة لمن يخشى

قال اللهُ تعالىٰ: {طه ۝١مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ ۝٢إِلَّا تَذۡكِرَةٗ لِّمَن يَخۡشَىٰ ۝٣تَنزِيلٗا مِّمَّنۡ خَلَقَ ٱلۡأَرۡضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلۡعُلَى ۝٤ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ} [طه:١-٥]: القرآنُ كلامُ الله، مُنزَّلٌ منه سبحانه وتعالىٰ، وأنزله الله لسعادة الخلقِ، وليس لإتعابهم وشقائهم، وأنزله {تَذۡكِرَةٗ}؛ أي: ليتذكرَ به مَن يخشىٰ اللهَ تعالىٰ، فيتذكر ما فيه من الترغيبِ إلىٰ أجلِّ المطالب، فيعمل به، ومن الترهيبِ عن الشقاءِ والخسران، فيرهبُ منه، ويتذكر به الأحكام الشرعية والعلوم النافعة.

ولا ينتفع بالقرآن إلا مَن يخشىٰ اللهَ، فالكافرُ والمنافقُ المكابر عن قبول الحق لا ينتفع بالقرآن.

فالقرآن تنزيلُ خالقِ السماوات والأرض، فاقبلوا تنزيلَه بغاية المحبة والتسليم، والقبول والانقياد، وعظِّموه حقَّ التعظيم، قال تعالىٰ: {فَذَكِّرۡ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكۡرَىٰ ۝٩ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخۡشَىٰ

﴿١٠﴾وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى ﴿١١﴾ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ} [الأعلى:٩-١٢]،

وقال سبحانه: {فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ} [ق:٤٥].

والتذكيرُ هو تذكير ما تقرر في العقولِ والفِطَرِ من محبة الخيرِ وإيثاره وفعله، ومن بُغض الشرِّ ومجانبته، وإنما يتذكر بالتذكير مَن يخافُ وعيدَ الله.

وأما مَن لم يؤمن بالله ففائدةُ تذكيره إقامةُ الحُجَّةِ عليه؛ لئلا يقول: {مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ}، قال تعالىٰ: {رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ} [النساء:١٦٥].

المبحث التاسع والعشرون: القرآن ذكر وذو ذكر

(١) قال اللهُ تعالىٰ: {كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ ۚ وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ۝٩٩ مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وِزْرًا ۝١٠٠ خَٰلِدِينَ فِيهِ ۖ وَسَآءَ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ حِمْلًا} [طه:٩٩-١٠١]: يمُنُّ اللهُ علىٰ نبيِّه بأنه آتاه القرآنَ الذي بيَّن له فيه أخبارَ السابقين، وما فيها من الدروس والعبر والعلم والعمل، فقال: {وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا}؛ أي: منَحْناك هذا القرآنَ الذي هو ذكرٌ لأخبار الأولين، وذكر تتذكرُ به ما لله من أسماءٍ وصفاتٍ، وأفعالٍ وأوامرَ ونواهٍ، وأحكامٍ وجزاءات وعقوبات، والعلوم النافعة والحكم الباهرة.

فالواجبُ علىٰ الناس تعظيمُ هذا الذكرِ، وتلقِّيه بالقبول والانقياد والتعظيم واليقين والمحبة.

(٢) قال تعالىٰ: {فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ۝١٠ رَّسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا

ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ قَدْ أَحْسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزْقًا} [الطلاق:١٠-١١]:

وهذا الذكرُ مَن آمَنَ به واستقام علىٰ نهجِه فهو السعيدُ في الدنيا والآخرة، ومَن كفر به وأعرض عنه فهو الشقيُّ، {مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وِزْرًا ﴿١٠٠﴾ خَٰلِدِينَ فِيهِ ۖ وَسَآءَ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ حِمْلًا} [طه:١٠٠-١٠١]، فبئس الحملُ الذي يحملونه، والعذابُ الذي يُعذَّبونه بشؤمِ تكذيبهم للقرآن وعدم اتباعهم له! قال تعالىٰ: {إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٧﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ} [التكوير:٢٧-٢٨]

(٣) قال تعالىٰ: {صٓ ۚ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ} [ص:١]؛ أي: ذي القدرِ العظيمِ، والشرف الرفيع، المذكر للعباد بما يحتاجون إليه من العلم بأسماء الله وصفاته، وأفعاله وأحكامه.

فقوله: {ذِى ٱلذِّكْرِ}؛ أي: ذي الشرفِ لمَن تعلَّمه وعلَّمه، وعمِلَ به، وتحاكم إليه، وتلاه حقَّ تلاوته، قال النبيُّ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ يَرْفَعُ بِهَذَا الْكِتَابِ أَقْوَامًا، وَيَضَعُ بِهِ آخَرِينَ**»[1]؛ أي: يرفَعُ ويُعِزُّ به مَن آمَنَ به واتَّبعَه، وتعلَّمَه وعلَّمَه.

---

(١) أخرجه مسلم (٨١٧).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

(٤) وقال سبحانه: {فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ} [الزخرف:٤٣-٤٤]؛ أي: شرفٌ وفخرٌ وعِزٌّ لك ولقومك إن تمسَّكتم به، وعملتم به، وسوف يسألكم اللهُ عنه في القيامة؛ هل قمتم به علىٰ الوجه اللائق به أم لا؟ فالقرآن حجةٌ لك أو عليك؛ لقول النبيِّ ﷺ: «**والقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أو عَلَيكَ**»(١)، فهو حجَّةٌ لمَن اتبعه، واستقام علىٰ نهجه، وحجةٌ علىٰ مَن كفر به وخالفه.

وقال ﷺ: «**يُؤْتَى بِالْقُرْآنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَهْلِهِ الَّذِينَ كَانُوا يَعْمَلُونَ بِهِ تَقْدُمُهُ سُورَةُ الْبَقَرَةِ، وَآلُ عِمْرَانَ كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ، أَوْ ظُلَّتَانِ سَوْدَاوَانِ بَيْنَهُمَا شَرْقٌ، أَوْ كَأَنَّهُمَا حِزْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافَّ، تُحَاجَّانِ عَنْ صَاحِبِهِمَا**»(٢).

(٤) قال اللهُ تعالىٰ: {وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ﴿٦٩﴾ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى

---

(١) أخرجه مسلم (٢٢٣).
(٢) سبق تخريجه.

ٱلْكَٰفِرِينَ} [يس:٦٩-٧٠]: نزَّهَ اللهُ رسولَه محمدًا ﷺ عمَّا رماه به المشركون من أنه شاعرٌ، وأن الذي جاء به شعرٌ، فقال: {وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ} أن يكونَ شاعرًا، لأنه رشيدٌ مهتدٍ، والشعراءُ غاوون، ويتبعهم الغاوون، ثم قال: {إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ}؛ أي: القرآنُ ذِكرٌ، يتذكر به أولو الألبابِ جميع المطالب الدينية التي بها صلاح الدنيا والآخرة، قال تعالىٰ: {وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ} [البقرة:٢٦٩].

وقوله: {وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ}؛ أي: مُبَيِّنٌ لجميعِ الحقِّ بأدلته التفصيلية والإجمالية، ومُبيِّنٌ للباطلِ أيضًا كي يحذَرَه الناسُ ولا يفعلوه، كما قال: {تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ}.

وهذا القرآنُ الذِّكرُ المبين نزل ليُنذِرَ من كان حيَّ القلبِ، واعيَ العقل، فهو الذي يزكو بالقرآنِ، وينتفعُ به، قال تعالىٰ: {فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ} [ق:٤٥]، وقال تعالىٰ: {سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ} [الأعلى:١٠]، وقال تعالىٰ: {وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ} [الذاريات:٥٥].

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقوله: {وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ}: لأنهم قامت عليهم به الحجةُ، ولم يبقَ لهم أدنىٰ عذرٍ ولا محجة، قال النبيُّ ﷺ: «**والقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أو عَلَيكَ**».

(٤) قال تعالىٰ: {إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ۝٨٧ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍۭ} [ص:٨٧-٨٨]: يتذكرون به كلَّ ما ينفعهم من مصالحِ دينهم ودنياهم، فيكون شرفًا ورفعةً للعاملين به.

المبحث الثلاثون:

وجوب التأني في تلقي القرآن وتعلمه وتعليمه

قال اللهُ تعالىٰ: {وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا} [طه:١١٤]؛ أي: يا محمدُ لا تبادِرْ بتلقُّفِ القرآنِ حين يتلوه عليك جبريلُ، واصبِرْ حتىٰ يفرغَ منه، فإذا فرغ منه فاقرأه، فإن اللهَ ضمن لك جمعَه في صدرِك، وقراءتَك إياه، كما قال تعالىٰ: {لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ۝١٦ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ۝١٧ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ۝١٨ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ} [القيامة:١٦-١٩].

ولما كانت مبادرةُ النبيِّ ﷺ وعجلته علىٰ تلقف الوحي دليلًا علىٰ محبته التامة للعلم وحرصه عليه، أمره الله أن يسألَه الزيادةَ منه فقال: {وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا}.

لأن العلمَ خيرٌ، وكثرة الخير مطلوبة، وهي من الله، والطريقُ إليها الاجتهادُ والشوقُ للعلم، وسؤالُ الله، والاستعانه به، والافتقارُ إليه.

- ويستفاد من هذه الآيةِ: الأدبُ في تلقي العلمِ، وأن طالبَ العلمِ والمستمعَ له والقارئَ له ينبغي أن يتأنىٰ ويصبرَ حتىٰ يفرغَ المعلِّمُ من كلامِه وبيانه، ولا يبادرَ بالسؤالِ قبل فراغ المعلِّمِ؛ فإن مخالفةَ ذلك سببٌ للحِرمانِ.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

المبحث الحادي والثلاثون:

القرآن هو الفرقان الذي أنزله الله على محمد رسول الله ﷺ

قال اللهُ تعالىٰ: {تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا} [الفرقان:١]؛ أي: تعاظَمَ وكثُرت خيراتُه، وكمُلت أوصافُه جل جلاله، فمِن أعظمِ نِعَمِه أن نزَّل إليهم الفرقانَ الذي هو القرآنُ الفارقُ بين الحلالِ والحرام، والهدىٰ والضلال، والحقِّ والباطل، والسُّنة والبدعة، والتوحيد والشِّرك، والإيمان والنفاق، وأهل السعادة وأهل الشقاوة.

وهذا الفرقانُ هو كلامُ الله المنزَّلُ منه سبحانه علىٰ عبدِه ورسوله محمدِ بنِ عبد الله ﷺ؛ ليكون لكلِّ العالمين من الإنس والجن والمشارق والمغارب العربي والعجمي نذيرًا محذرًا من عذاب الله، ومن سخطه وعقابه، فالواجبُ علىٰ العالمين اتباعُ هذا الفرقان وهذا النبيِّ ﷺ؛ ليفوزوا برضوانِ الله تعالىٰ.

المبحث الثاني والثلاثون:

هجر القرآن إجرام، واتباعه هداية وانتصار

قال اللهُ تعالىٰ: {وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا} [الفرقان: ٣٠-٣١]: نادىٰ الرسولُ ﷺ ربَّه شاكيًا من إعراض قومِه عما جاءهم به من القرآنِ والسُّنة، ومتأسفًا علىٰ ذلك منهم؛ وذلك لأنهم هجَروا سماعَه، وتعلُّمَه، وقراءتَه، والعملَ به، واتباعه، والتحاكم إليه، والواجبُ علىٰ كلِّ مَن سمع القرآنَ أن يؤمنَ به، وأن يتعلَّمَه، ويعملَ بما فيه، ومن هجر الإيمانَ به وتعلمه والعمل بأحكامه فذلك الذي أجرَمَ في حقِّ نفسِه، فأهلكها، وأوجب لها سَخَطَ الله وعذابَه.

وأما الذي يؤمنُ به ويعمل بأحكامِه فذلكم الذي هداه اللهُ، ونصره علىٰ شياطين الإنس والجنِّ، وعلىٰ هواه، وعلىٰ نفسِه الأمَّارة بالسوء.

المبحث الثالث والثلاثون: من عناية الله بالقرآن

(١) قال اللهُ تعالىٰ: {وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ وَرَتَّلۡنَٰهُ تَرۡتِيلٗا ٣٢ وَلَا يَأۡتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ وَأَحۡسَنَ تَفۡسِيرًا} [الفرقان:٣٢-٣٣]: القرآن كلامُ الله، وحجتُه الباقيةُ علىٰ خلقه إلىٰ يومِ الدين، فلا وحيَ بعده، ولا نبيَّ بعد محمدٍ ﷺ، ولذلك تكفَّل اللهُ جل وعلا بحفظِه والعناية به، ومن ذلك أن الله تعالىٰ أنزل القرآنَ مفرَّقًا علىٰ حسب الأيامِ والسنين والوقائع والأحداث، ولم ينزله جملةً واحدةً كغيره من الكتب، وذلك لعظيم الفائدة من ذلك؛ ألا وهي تثبيتُ قلب النبيِّ ﷺ وأصحابِه؛ قال: {لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ}؛ أي: نطمئنَ به قلبَك، ونُثبِّتَه، وبخاصة عند حدوث أسباب القلق والمحن.

ومن ذلك أيضًا قوله تعالىٰ: {وَرَتَّلۡنَٰهُ تَرۡتِيلٗا}؛ أي: مهلناه، ودرَّجْناكَ فيه تدريجًا، حيث جعل إنزالَ الكتاب جاريًا علىٰ أحوالِ الرسول ﷺ والمسلمين ومصالحهم الدينية[1].

---

(١) انظر: تفسير السعدي (ص٥٨٢).

وفي هذا أدبٌ عظيمٌ للعلماء والدعاة وطلاب العلم؛ أن يقتدوا بربِّ العزَّةِ سبحانه في تدبيره لحالِ رسوله ﷺ والمسلمين، فعلىٰ المعلِّم للعلم أن يعلمَ الناس ويعتنيَ بدينهم كلما حصل أمرٌ، أو أتىٰ موسمٌ من مواسم الخيراتِ، فيأتي من نصوص الكتاب والسنة ما يناسب المقامَ، ويعلمهم، ويعظهم.

(٢) ومن عظيم عناية الله بالقرآنِ العظيمِ أن تكفَّلَ بحفظه بنفسه، ولم يترك حفظَه للأمة، فقال تعالىٰ: {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ} [الحجر:٩]: فلما كان القرآنُ هو آخرَ الكتب، والنبيُّ محمدٌ ﷺ هو آخرَ الأنبياء ولا نبيَّ بعدَه ولا كتابَ بعد القرآن؛ تكفَّلَ اللهُ بحفظه؛ ليكون الحجةَ الباقيةَ علىٰ الخلقِ علىٰ مرِّ العصور والأزمان.

فحفظه الله جل وعلا في حال إنزاله من استراق كلِّ شيطانٍ رجيم، وبعد إنزاله أودعه في قلب رسوله الكريم ﷺ، واستودعه في قلوبِ أمتِه، وحفظ ألفاظه من التغيير فيها بالزيادة أو النقص، وحفظ معانيَه من التبديل، فلا يُحَرِّفُ مُحَرِّفٌ معنًىٰ من معانيه إلا فضَحَه اللهُ، وقيَّض له مَن يبين الحقَّ المبين، وهذا من أعظمِ آيات الله ونعمه علىٰ عباده المؤمنين.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

المبحث الرابع والثلاثون:

من أوصاف القرآن الكريم

قال اللهُ تعالىٰ: {وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ مُّبِينٖ ﴿١٩٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَفِي زُبُرِ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿١٩٦﴾ أَوَ لَمۡ يَكُن لَّهُمۡ ءَايَةً أَن يَعۡلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُاْ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴿١٩٧﴾ وَلَوۡ نَزَّلۡنَٰهُ عَلَىٰ بَعۡضِ ٱلۡأَعۡجَمِينَ ﴿١٩٨﴾ فَقَرَأَهُۥ عَلَيۡهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ مُؤۡمِنِينَ ﴿١٩٩﴾ كَذَٰلِكَ سَلَكۡنَٰهُ فِي قُلُوبِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿٢٠٠﴾ لَا يُؤۡمِنُونَ بِهِۦ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَلِيمَ ﴿٢٠١﴾ } [الشعراء:١٩٢-٢٠١]:

القرآنُ كلامُ الله وتنزيلُه إلىٰ عباده، أنزله ليُربِّيَهم به، ويعلمهم مرادَه منهم؛ لأنه ربُّ العالمين، فكما ربىٰ عبادَه علىٰ معرفةِ مصالحِ دنياهم، كذلك ربَّاهم علىٰ معرفةِ مصالح دينهم وسبيل هدايتهم ونجاتهم وصلاحهم.

فالقرآنُ أفضلُ كتاب هداية وخير وبر، أنزله علىٰ أفضل نبيٍّ ﷺ، بواسطه أفضلِ مَلَكٍ جبريلَ الرُّوحِ الأمين، بأفضل اللغات اللغةِ العربية، وعلىٰ أفضل أمةٍ أمةِ محمدٍ ﷺ، في أشرف وأفضل بقعةٍ في الأرض مكةَ المكرمة، وفىٰ أفضل شهرٍ شهرِ رمضانَ، وفىٰ أفضل ليلةٍ ليلةِ القدرِ؛ فهو مجمعُ الفضائل والمحاسن.

{وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٩٦﴾}؛ أي: بشَّرت به كتبُ الأنبياءِ السابقين.

ومن عظمةِ القرآن إنزالُه في أعظم الليالي، علىٰ أعظمِ رسولٍ ﷺ، في أعظمِ بلدٍ، بأعظم لغةٍ، بواسطة أعظمِ مَلَكٍ، من الكبيرِ العظيمِ المتعالِ.

قال اللهُ تعالىٰ: {حمٓ ﴿١﴾ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٣﴾ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٥﴾ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ} [الدخان: ١-٦]: وهذا قسمٌ بالقرآن علىٰ القرآنِ أن اللهَ تعالىٰ أنزله لعظمتِه في ليلةٍ مباركةٍ كثيرةِ الخير والبركة؛ وهي ليلةُ القدر التي هي خيرٌ من ألف شهر، {تنزلُ الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر سلام هي حتىٰ مطلع الفجر}؛ وهي الليلة التي فيها يُفرَقُ كلُّ أمرٍ حكيمٍ؛ أي: يُفصَل ويُكتَب كلُّ أمرٍ قدري وشرعي حكم اللهُ به.

وهذه الكتابةُ متطابقةٌ مع ما كتبه اللهُ تعالىٰ في الكتاب الأول، في اللوحِ المحفوظ الذي كتب فيه مقاديرَ الخلائق، وآجالَهم، وأرزاقَهم، وأعمالهم، وأحوالهم، فالله يقدرُ في ليلةِ القدرِ ما يكون في

www.alukah.net
شبكة الألوكة

السَّنة، وكلُّ هذا من تمام علمِه، وكمالِ حكمته، وإتقان حفظه وعنايته بخلقه.

{أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ}؛ أي: هذا الأمرُ الحكيم أمرٌ صادر من عند الله تعالىٰ، {إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ} للرسل والكتبِ، {رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ} لهداية الخلقِ وتعليمهم خيري الدنيا والآخرة، {إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ} لجميع الأصوات، {ٱلْعَلِيمُ} بجميعِ الأمور الظاهرة والباطنة، لا تخفىٰ عليه خافيةٌ، فمِن عظيمِ قدرِ القرآن أن أنزله في ليلةِ القدرِ العالي قدرُها عندَ الله، {إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ۝٢ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝٣ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ۝٤ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ} [القدر:١]

ونزل به الرُّوحُ الأمين جبريلُ عليه السلام سيِّدُ الملائكة، علىٰ قلب النبيِّ محمدٍ ﷺ سيدِ ولدِ آدمَ ولا فخر، بأفضلِ لغةٍ؛ باللغة العربية الفصحىٰ البليغة، في خير بقاعِ الأرض وأحبِّها إلىٰ الله مكة المكرمة.

المبحث الخامس والثلاثون:
الأمر بتعلم القرآن وتلاوته ومعرفة أحكامه

(١) قال اللهُ تعالىٰ: ﴿وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾ [الأحزاب:٣٤]: فهذا أمرٌ من اللهِ تعالىٰ لأزواج النبيِّ ﷺ ولغيرهم من الأمةِ بطلب العلم، وطريقُ هذا العلم ومجمعُ تحصيله هو الكتاب؛ أي: القرآن، والحِكمةُ هي السنة، مع الفهم الصحيح للكتاب والسنة.

(٢) قال تعالىٰ: ﴿ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [العنكبوت:٤٥]: وهنا يأمر اللهُ تعالىٰ بتلاوة وحيِه، ومعنىٰ التلاوةِ: القراءةُ والفهمُ والتدبُّر، والعملُ، والتحاكم إليه، والاهتداءُ بهديه، والاتعاظ بمواعظه.

(٣) وقال تعالىٰ: ﴿فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ ۚ﴾ [المزمل:٢٠].

وقال النبيُّ ﷺ: «**اقْرَؤُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لِأَصْحَابِهِ، اقْرَؤُوا الزَّهْرَاوَيْنِ الْبَقَرَةَ، وَسُورَةَ آلِ عِمْرَانَ...، اقْرَؤُوا سُورَةَ الْبَقَرَةِ، فَإِنَّ أَخْذَهَا بَرَكَةٌ، وَتَرْكَهَا حَسْرَةٌ، وَلَا تَسْتَطِيعُهَا الْبَطَلَةُ**»(١).

---

(١) أخرجه مسلم (٨٠٤).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

المبحث السادس والثلاثون:

اصطفاء أمة محمد ﷺ للقرآن العظيم ونوالها الخيرية ببركته

(١) قال تعالىٰ: {ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ وَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞ وَمِنۡهُمۡ سَابِقُۢ بِٱلۡخَيۡرَٰتِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ} [فاطر:٣٢]: فاللهُ جل وعلا اصطفىٰ أتباعَ محمدٍ ﷺ لوراثةِ القرآنِ الكريم وإن تفاوتت مراتبُهُم، وتميَّزت أحوالُهُم، حتىٰ الظالم لنفسه بارتكابِ المعاصي، له فيه نصيبٌ، والمقصود بوراثة القرآن: أنه ورَّثَ علمَه، والعملَ به، ودراسةَ ألفاظه، واستخراجَ معانيه، وتدبُّرَ أحكامِه.

(٢) قال اللهُ تعالىٰ: {كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِۗ وَلَوۡ ءَامَنَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۚ مِّنۡهُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ} [آل عمران:١١٠]: قال الحافظ ابنُ كثيرٍ: وإنما حازت هذه الأمةُ قَصَبَ السبقِ إلىٰ الخيرات بنبيِّها محمدٍ ﷺ، فإنه أشرفُ خلق الله، وأكرمُ الرسل علىٰ الله، وبعثه الله بشرعٍ كاملٍ عظيم لم يُعْطِه نبيًّا قبله، ولا رسولًا من الرسل، فالعملُ علىٰ منهاجه وسبيله يقوم القليلُ منه ما لا يقوم

العمل الكثير من أعمال غيرهم مقامه[1].

أي: ما نالت هذه الأمةُ هذه الخيريةَ إلا ببركة اتِّباعها لكتابِ ربِّها وسنةِ نبيِّها ﷺ، وعلىٰ قدرِ قيامها علىٰ خدمة الدين بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والإيمان بالله تكون خَيريَّتُها عندَ الله تعالىٰ.

المبحث السابع والثلاثون:
القرآن أحسن الحديث المتشابه المثاني

(١) قال اللهُ تعالىٰ: {ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٖ} [الزمر:٢٣]: يخبرُ تعالىٰ عن القرآن الذي أنزله أنه {أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ} علىٰ الإطلاق، وأحسنُ الكتب المنزلة من عنده، وإذا كان هو الأحسن عُلِمَ أن ألفاظه أفصحُ الألفاظ وأوضحها، وأن معانيَه أجَلُّ المعاني، لأنه أحسنُ الحديث في لفظه ومعناه.

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٢/ ٩٤).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

{مُّتَشَٰبِهًا}: في الحسن والائتلاف وعدم الاختلاف بوجهٍ من الوجوه، وكلما قرأه القارئ وتدبَّره المتدبِّر رأىٰ من اتِّفاقِه وجمالِ معانيه ما يُبهِرُ العقولَ، ويجزم بأنه لا يصدرُ إلا من حكيمٍ عليم، وهذا هو معنىٰ التشابه في هذه الآية.

وأما معنىٰ التشابه في قوله تعالىٰ: {هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ} [آل عمران:٧]: فالمرادُ: أنها تشتبه علىٰ فهمِ كثيرٍ من الناس، ولا يزولُ هذا الاشتباهُ إلا بردِّها إلىٰ المُحكَم.

وقوله: {مَّثَانِىَ}؛ أي: تُثنَّىٰ فيه القصصُ والأحكامُ، والوعد والوعيد، وصفاتُ أهل الخير وأهل الشر، وتُثنَّىٰ فيه أسماءُ الله وصفاته، وهذا من جلالته وحسنه، فإن اللهَ تعالىٰ علِمَ احتياجَ الخلق إلىٰ معانيه المزكية للقلوب والمكملة للأخلاق، وأن تلك المعانيَ للقلوب بمنزلةِ الماء لسقي الأشجار، فكما أن الأشجارَ كلما بَعُدَ عهدُها بسقي الماء نقصت؛ بل ربما تلِفت، وكلما تكرر سقيُها حَسُنت وأثمرت أنواعَ الثمار النافعة؛ كذلك القلبُ يحتاج دائمًا إلىٰ

تكرر معاني كلامِ الله عليه، وأنه لو ذكر له المعنىٰ مرةً واحدةً في جميع القرآن، لم يقع منه موقعًا، ولم تحصل النتيجةُ المرجوَّةُ منه، ولذلك ينبغي للقارئ المتدبِّر لمعاني القرآن ألا يدعَ التدبرَ في جميع المواضع منه، فإنه يحصل بذلك الخير الكثير والنفع الغزير.

ولما كان للقرآن هذه العظمةُ أثَّر في قلوبِ أولي الألباب المهتدين، فلهذا قال اللهُ: {تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ}؛ لِما فيه من الترهيبِ والوعيد، {ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ}؛ لما فيه الترغيبِ والوعدِ الجميل بجنات الخلود، {ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ}؛ أي: ذلك القرآنُ وما فيه من الوعدِ والوعيدِ هدايةُ الله لعباده، {يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ} [المائدة:١٦].

www.alukah.net
شبكة الألوكة

المبحث الثامن والثلاثون:

موقف الكفار من القرآن واحد على مر الأزمان

قال اللهُ تعالىٰ: {وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسۡمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَغۡلِبُونَ} [فصلت:٢٦]: علم الكفارُ أن عزَّ المسلمين ورفعتَهم وغلبتَهم في القرآن؛ تعلمًا وتعليمًا وعملًا وتحاكمًا وتلاوةً وسماعًا، فحرَصوا علىٰ التشويش علىٰ المسلمين وغيرهم لإبعادهم عن القرآن، فقالوا: {لَا تَسۡمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ}؛ أي: أعرِضوا عنه بأسماعِكم، ولا تلتفتوا إليه، {وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ}؛ أي: شَوِّشوا عليه بالكلامِ الكاذب الذي لا فائدةَ فيه لصرف الناس عنه، بالمسلسلات، والأفلام، والأغاني، والكرة، والقصص، والبرامج التافهة، ووسائل اللهو المختلفة، فإنَّكم إن شوشتم علىٰ القرآنِ وصرَفتُم الناسَ عنه فأنتم الغالبون.

فالقرآنُ هو سِرُّ عِزِّ المسلمين ونصرهم ورفعتهم، إن علِموه وتمَسَّكوا به، وعمِلوا بأحكامِه، وقاموا به كما أمر اللهُ تعالىٰ.

المبحث التاسع والثلاثون: القرآن عزيز

قال اللهُ تعالىٰ: {إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلذِّكۡرِ لَمَّا جَآءَهُمۡۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٞ ۝٤١ لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ} [فصلت:٤١-٤٢]: القرآنُ كتابٌ عزيز؛ أي: منيعٌ مِن كلِّ مَن أراده بتحريفٍ أو سوءٍ، ولهذا قال: {لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ}؛ أي: لا يقرَبُه شيطانٌ من شياطين الإنس والجنِّ لا بسرقةٍ ولا بإدخال ما ليس فيه به، ولا بزيادةٍ ولا نقص، فهو محفوظٌ في تنزيله، محفوظةٌ ألفاظُه ومعانيه، وقد تكفل اللهُ بحفظه فقال: {إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ} [الحجر:٩].

وهذا الكتابُ العزيزُ منزِّلُه هو اللهُ الحكيمُ الحميد، حكيمٌ في خلقِه وأمره، يضع كلَّ شيءٍ موضعَه، وينزله منازلَه، حميدٌ علىٰ ما له من صفاتِ الكمال ونعوتِ الجلال، وعلىٰ ما له من العدل والإفضال.

فلهذا كان القرآن مشتملًا علىٰ تمام الحكمة، وعلىٰ تحصيلِ المصالحِ والمنافع، ودفع المفاسد والمضارِّ، وكلُّ ذلك يُحمَدُ عليه.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

المبحث الأربعون: القرآن رُوحٌ

قال تعالىٰ: {وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٥٢ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلۡأُمُورُ} [الشورى:٥٢-٥٣]: القرآن سماه اللهُ رُوحًا؛ لأن الرُّوح يحيا به الجسدُ، والقرآن تحيا به القلوبُ والأبدانُ والأرواح، وتحيا به مصالحُ الدنيا والدين؛ لما فيه من الخيرِ الكثير والعلم الغزير، وهو محض مِنَّةٍ مِن الله علىٰ رسوله ﷺ وعلىٰ عباده المؤمنين من غير سبب منهم، {مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ}؛ أي: ما كنتَ تعلم شيئًا عن القرآنِ، وشرائعِه، وأخباره، كنت أمِّيًّا لا تخُطُّ ولا تقرأ، فجاءك هذا الكتاب، {جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ}، فهم يستضيئون به في ظلماتِ الكفر والبدع والأهواء المتردِّية، ويعرفون به الحقائقَ، ويهتدون به إلىٰ الصراطِ المستقيم.

{وَإِنَّكَ لَتَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسْتَقِيمٖ}؛ أي: تُبيِّنُه للناس، وترشدهم وتدعوهم إليه.

ولذلك قال اللهُ تعالىٰ: {أَوَ مَن كَانَ مَيْتٗا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورٗا يَمْشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٖ مِّنْهَاۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ} [الأنعام:١٢٢]؛ أي: أومن كان من قبل هدايةِ الله له ميتًا في ظلماتِ الكفر والجهل والبدعة والمعاصي، فأحيَيْناه بنورِ القرآنِ والسُّنةِ، بنور العلم والإيمان والطاعة، فصار يمشي بين الناس بنور الوحي متبصرًا في أموره، مهتديًا لسبيله، عارفًا للخيرِ، مجتهدًا فيه، وعارفًا الشرَّ مبتعدًا عنه، أفيستوي هذا بمَن هو في ظلماتِ الجهل والشرك والمعاصي والشقاء؟! لا يستويان أبدًا، كما لا تستوي الظلماتُ والنورُ، ولا الظلُّ والحَرورُ، ولا الأحياء والأموات!

المبحث الحادي والأربعون: القرآن عليٌّ حكيم

قال تعالىٰ: {حمٓ ۝١وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝٢ إِنَّا جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ۝٣ وَإِنَّهُۥ فِيٓ أُمِّ ٱلۡكِتَٰبِ لَدَيۡنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ} [الزخرف: ١-٤]: القرآن كتابٌ واضح مبيِّنٌ لكلِّ ما يحتاجه العبادُ من أمور الدين والدنيا والآخرة، وقد أنزله اللهُ بأفصحِ اللغات وأوضحها ليعقِلَ الناسُ ألفاظَه ومعانيَه بتيسير الله لهم.

وهذا القرآن كلامُ الله تعالىٰ، في أمِّ الكتابِ، مكتوبٌ في اللوحِ المحفوظ في الملأ الأعلىٰ، وهو عليٌّ في قدرِه وشرفِه ومحله، حكيمٌ فيما يشتملُ عليه من الأوامرِ والنواهي، والأخبار والحكم والمواعظ، فليس فيه حكمٌ مخالفٌ للحكمة والعدل والميزان.

ومن حكمة الله تعالىٰ أنه خلق الخلقَ ولم يتركهم هملًا ولا سُدًى، وإنما أرسل إليهم رسلًا، وأنزل عليهم كُتُبًا تُبيِّنُ لهم الحقَّ من الباطل، وتهديهم إلىٰ الطريق المستقيم.

المبحث الثاني والأربعون:

الويل للمتكبر عن القرآن، المستهزئ به

قال اللهُ تعالىٰ: {تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتۡلُوهَا عَلَيۡكَ بِٱلۡحَقِّۖ فَبِأَيِّ حَدِيثِۭ بَعۡدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤۡمِنُونَ ٦ وَيۡلٞ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٖ ٧ يَسۡمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسۡتَكۡبِرٗا كَأَن لَّمۡ يَسۡمَعۡهَاۖ فَبَشِّرۡهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ٨ وَإِذَا عَلِمَ مِنۡ ءَايَٰتِنَا شَيۡـٔا ٱتَّخَذَهَا هُزُوًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ٩ مِّن وَرَآئِهِمۡ جَهَنَّمُۖ وَلَا يُغۡنِي عَنۡهُم مَّا كَسَبُواْ شَيۡـٔا وَلَا مَا ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡلِيَآءَۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ١٠ هَٰذَا هُدٗىۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ لَهُمۡ عَذَابٞ مِّن رِّجۡزٍ أَلِيمٞ} [الجاثية:٦-١١]، وقال سبحانه: {قُلۡ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمۡ تَسۡتَهۡزِءُونَ ٦٥ لَا تَعۡتَذِرُواْ قَدۡ كَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡۚ} [التوبة:٦٥-٦٦].

القرآنُ نزل من الحقِّ سبحانه، وجاء مشتملًا علىٰ الحقِّ، فمِن الناس مَن آمن به وسعد به، ومنهم مَن كفر به؛ وهو الأَفَّاك الكذابُ في قوله، الأثيم في فعلِه، الذي تكبر عن سماع القرآنِ كفرًا وجحودًا به، وإذا علم شيئًا من القرآن سخِرَ به واستهزأ به، فهذا له العذابُ المهين في مقابلة استهانتِه بالقرآن، ولهذا نهىٰ النبيُّ ﷺ أن يُسافَرَ

بالقرآنِ إلىٰ أرض العدوِّ؛ مخافةَ أن يناله العدوُّ بالاستهزاءِ والتكذيبِ والسخرية.

قال اللهُ تعالىٰ عن القرآن: {هَٰذَا هُدًى}؛ أي: أن القرآنَ كتابُ هدايةٍ، مشتملٌ علىٰ هدايةِ الإرشاد، وهدايةِ التوفيقِ والسداد لمَن اتَّبعَه واستقام علىٰ نهجِه.

وهؤلاء المنافقون الذين قالوا «آمَنَّا» بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم، لما استهزأوا بالنبيِّ ﷺ والصحابةِ والقرآنِ في غزوة تبوكَ أنزل اللهُ تعالىٰ قولَه: {قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ۝٦٥ لَا تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُواْ مُجْرِمِينَ} [التوبة:٦٥-٦٦].

فالمتكبِّرُ المستهزئُ بالقرآن مجرمٌ مستحِقٌّ للعذاب المهين.

فهذا النصرانيُّ الذي أسلم وكتب البقرةَ وآلَ عمران، ثم ارتدَّ وكذَّب بالقرآنِ، وافترىٰ الكذبَ علىٰ النبيِّ ﷺ، وادعىٰ أنه هو الذي كان يُملي عليه القرآنَ: أهلَكَه اللهُ تعالىٰ:

فعن أنسٍ ﷺ قال: كَانَ رَجُلٌ نَصْرَانِيًّا، فَأَسْلَمَ، وَقَرَأَ البَقَرَةَ وَآلَ عِمْرَانَ، فَكَانَ يَكْتُبُ لِلنَّبِيِّ ﷺ، فَعَادَ نَصْرَانِيًّا، فَكَانَ يَقُولُ: مَا يَدْرِي مُحَمَّدٌ إِلاَّ مَا كَتَبْتُ لَهُ، فَأَمَاتَهُ اللهُ، فَدَفَنُوهُ، فَأَصْبَحَ وَقَدْ لَفَظَتْهُ الأَرْضُ، فَقَالُوا: هَذَا فِعْلُ مُحَمَّدٍ وَأَصْحَابِهِ لَمَّا هَرَبَ مِنْهُمْ، نَبَشُوا عَنْ صَاحِبِنَا فَأَلْقَوْهُ، فَحَفَرُوا لَهُ فَأَعْمَقُوا، فَأَصْبَحَ وَقَدْ لَفَظَتْهُ الأَرْضُ، فَقَالُوا: هَذَا فِعْلُ مُحَمَّدٍ وَأَصْحَابِهِ، نَبَشُوا عَنْ صَاحِبِنَا لَمَّا هَرَبَ مِنْهُمْ، فَأَلْقَوْهُ، فَحَفَرُوا لَهُ وَأَعْمَقُوا لَهُ فِي الأَرْضِ مَا اسْتَطَاعُوا، فَأَصْبَحَ قَدْ لَفَظَتْهُ الأَرْضُ، فَعَلِمُوا: أَنَّهُ لَيْسَ مِنَ النَّاسِ، فَأَلْقَوْهُ[1].

فكان عبرةً لكلِّ أفاكٍ أثيمٍ، منافقٍ مرتدٍّ، مكذبٍ مستهزئٍ بالقرآنِ.

قال اللهُ تعالىٰ: {وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٢٧﴾ وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً ۚ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ

(١) أخرجه البخاري (٣٦١٧).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡمُبِينُ ﴿٣٠﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَفَلَمۡ تَكُنۡ ءَايَٰتِي تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱسۡتَكۡبَرۡتُمۡ وَكُنتُمۡ قَوۡمٗا مُّجۡرِمِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَٱلسَّاعَةُ لَا رَيۡبَ فِيهَا قُلۡتُم مَّا نَدۡرِي مَا ٱلسَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنّٗا وَمَا نَحۡنُ بِمُسۡتَيۡقِنِينَ ﴿٣٢﴾ وَبَدَا لَهُمۡ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُواْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿٣٣﴾ وَقِيلَ ٱلۡيَوۡمَ نَنسَىٰكُمۡ كَمَا نَسِيتُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَا وَمَأۡوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٣٤﴾ ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ ٱتَّخَذۡتُمۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوٗا وَغَرَّتۡكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۚ فَٱلۡيَوۡمَ لَا يُخۡرَجُونَ مِنۡهَا وَلَا هُمۡ يُسۡتَعۡتَبُونَ ﴿٣٥﴾ فَلِلَّهِ ٱلۡحَمۡدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلۡأَرۡضِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلۡكِبۡرِيَآءُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ} [الجاثية:٢٧-٣٧].

فاستحق الكفارُ المجرمون الخزيَ والحسرةَ والعذابَ المهين بشؤمِ استكبارهم عن القرآنِ، واتِّخاذهم آياتِه هُزُوًّا، فهم في النارِ، ولا يُخرَجون منها، ولا هم يُستعتَبون.

وهكذا كلُّ مَن أهان القرآنَ أهانه اللهُ في العذابِ المهين.

المبحث الثالث والأربعون: صالحو الجن والقرآن

(١) قال اللهُ تعالىٰ: {وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْاْ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُواْ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِىَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ} [الأحقاف:٢٩-٣٢]: صرف اللهُ جماعةً من صالحي الجن إلىٰ النبيِّ محمدٍ ﷺ يستمعون منه القرآنَ، فلما حضَروه وسمعوه ووعَوْه أثَّر فيهم، وعلموا أنه الحقُّ المبشَّرُ به في كتبِ الأنبياء السابقين كالتوراةِ والإنجيل، فرجعوا إلىٰ قومِهم ناصحين داعين لاتباعِ هذا النبيِّ ﷺ وهذا الكتابِ الذي جاء مصدقًا لتوراة موسىٰ وإنجيل عيسىٰ عليهما السلام، وهاديًا إلىٰ الصراط المستقيم.

فكانوا من أسعدِ الناسِ باتباع هدي الله، ولذلك كرَّر اللهُ ذِكرَهم، وأنزل سورةً باسمِهم، سورة «الجن»، فقال تعالىٰ: {قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ

ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ١ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا} [الجن: ١-٢]: فوصَفوا القرآنَ بأنه من العجائبِ الغالية، والمطالب العالية، وأنه كتابٌ هادٍ يَهدي إلىٰ الرشدِ؛ أي: إلىٰ كلِّ ما يرشد الناسَ لمصالحهم الدينيةِ والدنيويةِ والأخروية، جامعٌ لكل كمالٍ.

ولما نزَلت سورةُ الرحمن وقرأها النبيُّ ﷺ علىٰ أصحابِه كان صالحو الجنِّ أسرعَ جوابًا، فقد روىٰ البزارُ عن جابرٍ أن النبيَّ قرأ سورةَ الرحمن علىٰ أصحابِه فسكتوا، فقال: «**لقَدْ كانَ الجِنُّ أحسَنَ رَدًّا منكم، كلَّما قرأتُ عليهم:** {فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ} **قالوا: لا بشيءٍ مِن آلائِكَ ربَّنا نُكذِّبُ، فلكَ الحمدُ**»(١).

وروىٰ مسلمٌ أن النبيَّ ﷺ قال: «**أَتَانِي دَاعِي الْجِنِّ فَذَهَبْتُ مَعَهُ فَقَرَأْتُ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنَ**»(٢).

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٢٩١)، والحاكم في المستدرك (٣٨٢٣).

(٢) أخرجه مسلم (٤٥٠).

المبحث الرابع والأربعون:

القرآن والسنة هما الهدى ودين الحق الذي أرسل الله به رسوله ﷺ

(١) قال اللهُ تعالىٰ: {هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدٗا} [الفتح:٢٨]: فالهُدىٰ هو العلمُ النافعُ الذي جاء به القرآنُ والسُّنة، والذي يهدي من الضلالة، ويبينُ طرقَ الخير والشر، ودينُ الحقِّ الذي ورد في الكتاب والسنة: هو الدين الموصوفُ بالحقِّ، وهو العدلُ والإحسان والرحمة، وهو كل عمل صالحٍ مُزَكٍّ للقلوب، مطهِّرٌ للنفوس، مُرَبٍّ للأخلاق، مُعْلٍ للأقدار.

قال اللهُ تعالىٰ: {وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمۡ تَكُن تَعۡلَمُۚ وَكَانَ فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ عَظِيمٗا} [النساء:١١٣]؛ فالعلمُ الذي علَّمَه اللهُ لرسوله هو علمُ الكتابِ والسُّنة، وهو الهُدىٰ ودينُ الحق، قال اللهُ تعالىٰ: {هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِى ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ} [الجمعة:٢]، وقال اللهُ تعالىٰ عن القرآن والسنة:

{هَٰذَا هُدًى} [الجاثية:١١]، وقال تعالىٰ: {ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ} [البقرة:٢]، وقال: {إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ} [الإسراء:٩].

فالدِّين كتابٌ وسُنَّةٌ بفهمِ أصحابِ النبيِّ ﷺ.

وقال سبحانه وتعالىٰ: {هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ} [الصف:٩].

المبحث الخامس والأربعون: القرآن مجيد

قال اللهُ تعالىٰ: {قٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ} [ق:١]: فالقرآن مجيدٌ؛ أي: واسعُ المعاني، عظيمُها، كثيرُ الوجوه، كثيرُ البركات، جزيلُ المبرات.

والمجد: سَعةُ الأوصاف وعظمتها، وأحقُّ كلامٍ يُوصَف بذلك هو القرآنُ الذي احتوىٰ علىٰ علومِ الأولين والآخرين، وحوىٰ من الفصاحة أكملَها، ومن الألفاظ أجزلَها، ومن المعاني أعمَّها وأحسنَها، وهذا موجبٌ لكمال اتباعِه، وسرعةِ الانقياد له، وشكر الله علىٰ المِنَّة به، ولكن أكثرَ الناس لا يقدِّرُ نِعَمَ اللهِ قدرَها[1].

قال اللهُ تعالىٰ: {بَلۡ هُوَ قُرۡءَانٞ مَّجِيدٞ ٢١ فِي لَوۡحٖ مَّحۡفُوظِۭ} [البروج:٢١-٢٢]: فالمجيدُ هو الرفيعُ القدرِ، الكريم، المحسن، الكثيرُ الخيرِ والنفع.

فالقرآنُ المجيد: ذو المجدِ والعظمةِ، والسلطان المطلق، مهيمنٌ علىٰ جميعِ الكتب السابقة، حاكمٌ عليها، ليس محكومًا عليه، وهو

---

(١) انظر: تفسير السعدي (ص٨٠٣).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

مجيدٌ به؛ أي: يُمجَّد ويُعلَىٰ، ويُظهِرُ مَن تمسَّك به، «**إنَّ اللهَ يرفَعُ بهذا الكتابِ أقوامًا**»؛ أي: يمجِّدُ ويُعلي قدرَ مَن تمسَّك به.

وأصلُ المجد في اللغة يدلُّ علىٰ بلوغ النهاية، ولا يكونُ إلا في المحمود.

والمجدُ: السَّعةُ في الكرمِ والجلال.

والمجد: المروءةُ والسخاءُ والشرفُ والكرم والسؤدد.

والماجد: هو الحسنُ الخُلُقِ، السمحُ، الكريمُ، المِعطاءُ[1].

(١) انظر: تفسير سورة البروج لابن عثيمين (ص١٤٢)، مقاييس اللغه لابن فارس (٥/ ٢٩٧)، ولسان العرب (٢/ ٣٩٥)، وتفسير أبي السعود (٩/ ١٣٩)، وتفسير ابن كثير (٤/ ٤٩٧)، والتحرير والتنوير (٢٦/ ٢٣٠).

المبحث السادس والأربعون:

تيسير الله للقرآن تعلمًا وعملًا واحتكامًا

(١) قال اللهُ تعالىٰ: {وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ} [القمر:١٧]: القرآنُ كلامُ الله، ولولا أن اللهَ يسَّره ما استطاع أحدٌ أن يقرأه، فاللهُ جل وعلا بفضله وكرمه يسَّر وسهَّل ألفاظَ القرآن للحفظِ، ويسَّر معانيَه للفهمِ والعلم؛ لأنه أحسنُ الكلام لفظًا، وأصدقُه معنًىٰ، وأبينه تفسيرًا، فكل مَن أقبل عليه يَسَّرَ اللهُ عليه مطلوبَه غايةَ التيسير، وسهَّلَه عليه، ولهذا كان علمُ القرآن حفظًا وتفسيرًا أسهلَ العلوم وأجلَّها علىٰ الإطلاق، وهو العلمُ النافع الذي إذا طلبه العبدُ أُعِينَ عليه، قال مطرٌ الوراقُ عند هذه الآية: هل مِن طالب علم فيعان عليه؟ ولهذا يدعو اللهُ عبادَه إلىٰ الإقبالِ عليه والتذكر بقوله: {فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ}.

وقوله سبحانه: {وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ}: الذِّكرُ شاملٌ لكل ما يتذكر به العالمون من الحلالِ والحرام، وأحكامِ الأمرِ والنهي، وأحكام الجزاء، والمواعظ والعبر، والعقائد النافعة، والأخبار الصادقة، وهذا كقوله تعالىٰ: {كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ} [ص:٢٩]، وقوله: {فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا} [مريم:٩٧].

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قال ابنُ عباسٍ ﷺ: لولا أن اللهَ يسَّره علىٰ لسانِ الآدميِّين ما استطاع أحدٌ من الخلقِ أن يتكلمَ بكلامِ الله عز وجل[١].

المبحث السابع والأربعون:

القرآن رحمة واسعة من الله لخلقه

قال تعالىٰ: {ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ} [الرحمن:١-٢]: فاللهُ جل وعلا من أسمائه الرحمنُ، وهو دالٌّ علىٰ سَعةِ رحمتِه، وعموم إحسانه، وجزيل برِّه، وواسعِ فضلِه، لعباده المؤمنين رحمةٌ خاصةٌ بهم، ومن آثار هذه الرحمةِ أن أكرَمَهم، وأوصل إليهم النِّعَمَ الدينية والدنيوية، وأعظم هذه النِّعَم بإطلاق أن أنزل إليهم القرآنَ، وعلمهم إياه، ويسَّر وسهَّل عليهم تعليمَه، وحفظَه، وفهمَه، والعمل به، والتحاكم إليه، حيث أنزله قرآنًا عربيًّا بأحسن الألفاظِ وأرقاها، وأحسن المعاني، مشتمل علىٰ كل خير، زاجر عن كل شر، ولهذا قال: {لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ} [آل عمران:١٦٤].

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٧/ ٤٧٨)، والسعدي (ص٨٤٦).

المبحث الثامن والأربعون:
القرآن كريم ولا يجوز المداهنة فيه

قال اللهُ تعالىٰ: {إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ۝٧٧ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ۝٧٨ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ۝٧٩ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٨٠ أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ} [الواقعة:٧٧-٨١]: فالقرآنُ كريمٌ؛ أي: كثيرُ الخير، عظيمُ النفع، غزيرُ العلم، فكل خيرٍ وعلمٍ إنما يُستفاد من كتابِ الله، ويُستنبَطُ منه، {في كتاب مكنون}؛ أي: في اللوحِ المحفوظِ المستور عن الأعين؛ أي: مكتوب في اللوح المحفوظ عند الله تعالىٰ، وهذا اللوح المحفوظ معظَّمٌ عند الله وملائكته في الملأ الأعلىٰ، قال تعالىٰ: {فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ۝١٢ فِى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ۝١٣ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ ۝١٤ بِأَيْدِى سَفَرَةٍ ۝١٥ كِرَامٍ بَرَرَةٍ} [عبس:١٢-١٦]، والقرآنُ الكريمُ هو كلامُ الله المنزَّلُ من عنده سبحانه!

قال تعالىٰ: {أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ ۝٨١ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ} [الواقعة:٨١-٨٢]؛ أي: أفبهذا القرآنِ الكريمِ والذِّكر الحكيم تُداهِنون الكفرةَ، وتخفونه إرضاءً لهم، وخوفًا منهم

أن يُعيِّروكم به، فالقرآنُ أعظم نعمةٍ، فاصدعوا به واقرؤوه، واعملوا به، وعلموه، فهذا من شُكرِ الله علىٰ نعمة القرآن، أم أنكم تجعلون مقابلةَ نعمةِ الله عليكم بهذه النعمة أن تكفروها، ولا تقوموا بحقِّ الله فيها، فكفرانُ النِّعَمِ سببٌ لزوالها وحلول نقمة الله بدلًا من نعمته.

المبحث التاسع والأربعون:
أما آنَ للمؤمنين أن يخشَعوا للقرآن؟!

قال اللهُ تعالىٰ: {۞أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلۡحَقِّ} [الحديد:١٦]؛ أي: ألم يأتِ الأوان للمؤمنين الذي شرَّفهم اللهُ بالإسلام أن تخشعَ قلوبهم للقرآنِ، بالانقياد لأوامره، والانتهاء بزواجره، والاتعاظ بمواعظه.

وفي هذا الحثُّ علىٰ خشوعِ القلب لله تعالىٰ بخشيته بالغيبِ والشهادة؛ طمعًا في جنته، وخوفًا من ناره، وفيه الجدُّ والاجتهادُ في تعلم وتعليم القرآن والسُّنة والعمل بهما، لأنهما الحقُّ الذي نزل من اللهِ تعالىٰ؛ لقوله تعالىٰ: {وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمۡ تَكُن تَعۡلَمُۚ وَكَانَ فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ عَظِيمٗا} [النساء:١١٣].

المبحث الخمسون:

أثر القرآن في القلوب المؤمنة

قال اللهُ تعالىٰ: {لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ} [الحشر:٢١]؛ يقول الحافظُ ابنُ كثيرٍ رحمه الله: يقول اللهُ تعالىٰ معظمًا لأمرِ القرآن، ومبينًا علوَّ قدره، وأنه ينبغي أن تخشعَ له القلوبُ، وتتصدعَ عند سماعه؛ لما فيه من الوعد والوعيد الأكبر: {لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ} [الحشر:٢١]؛ أي: فإن كان الجبلُ في غلظته وقساوته، لو فهم هذا القرآنَ فتدبَّر فيه، لخشع وتصدَّع من خوفِ الله، فكيف يليقُ بكم أيُّها البشرُ ألَّا تلينَ قلوبُكم وتخشعَ وتتصدعَ من خشية الله، وقد فهِمتم عن الله أمرَه، وتدبَّرْتُم كتابَه[1]؟!

فهذا القرآنُ لو أنزله اللهُ علىٰ جبلٍ صُلبٍ جامدٍ لتصدَّع من خشية الله، لكمالِ تأثيره في القلوب، فإن مواعظَ القرآن أعظمُ المواعظ علىٰ

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٨/ ٧٨).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الإطلاق، وأوامرَه ونواهيَه مشتملةٌ علىٰ الحكمِ والمصالح المقرونة بها، وهي سهلةٌ ميسَّرةٌ علىٰ القلوبِ والأبدان، خاليةٌ من التكلفِ والتناقض، فلا يكلفُ اللهُ نفسًا إلا وُسْعَها.

وفي هذه الآيةِ الحثُّ علىٰ تدبُّرِ القرآن، وتفهُّمِ معانيه، والعمل بما فيه[١].

وقد ثبت في الحديثِ الصحيحِ أنَّ رسولَ الله ﷺ عُمِل له مِنبَرٌ، وقد كان يخطُبُ علىٰ جذعٍ، فلما وُضِع المنبر، وجاء النبيُّ ﷺ ليخطُبَ عليه حَنَّ الجِذعُ وبكىٰ، وجعل يئِنُّ كما يئِنُّ الصبيُّ حتىٰ ارتج المسجدُ لما كان يسمع من الذكرِ والوحيِ عنده، فنزل النبيُّ ﷺ من علىٰ المنبر واحتضنه حتىٰ سكَنَ[٢].

---

(١) انظر: تفسير السعدي (ص٨٥٣).

(٢) انظر: سنن الدارمي (٤٢)، وسلسلة الأحاديث الصحيحة (٢١٧٤).

المبحث الحادي والخمسون:
وجوب ترتيل القرآن العظيم

قال اللهُ تعالىٰ: {وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا} [المزمل:٤]: القرآنُ كلامُ اللهِ العظيم، وليس ككلام البشرِ، ومن تعظيمِ هذا القرآنِ أنه يُقرَأُ مرتَّلًا مجوَّدًا، بأمرٍ من الله تعالىٰ، كما قرأه اللهُ جل وعلا، قال النبي ﷺ: «**لَيْسَ مِنَّا مَن لم يَتَغَنَّ بالقرآنِ**»(١)؛ أي: مَن قرأ القرآنَ بغير ترتيلٍ فليس علىٰ نهجنا في ذلك.

وقال ﷺ: «**زَيِّنُوا الْقُرْآنَ بِأَصْوَاتِكُمْ**»(٢)، وعند الدارمي زيادة: «**فَإِنَّ الصَّوْتَ الْحَسَنَ يَزِيدُ الْقُرْآنَ حُسْنًا**»(٣).

وقال ابنُ الجَزَريِّ رحمه الله(٤):

وَالأَخْذُ بِالتَّجْوِيدِ حَتْمٌ لازِمُ ... مَنْ لَمْ يُجَوِّدِ الْقُرَآنَ آثِمُ

لِأَنَّهُ بِهِ الإِلَهُ أَنْزَلَا ... وَهَكَذَا مِنْهُ إِلَيْنَا وَصَلَا

---

(١) أخرجه البخاري (٧٥٢٧).

(٢) أخرجه أبو داود (١٤٦٨)، والنسائي (١٠١٥)، وابن ماجه (١٣٤٢).

(٣) أخرجه الدارمي (٣٥٤٤).

(٤) انظر: المقدمة الجزرية (ص١١).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وذلك لأنَّ ترتيلَ القرآنِ وتحسينَ الصوت في تلاوتِه يحصُلُ به التدبُّرُ والتفكر، وتحريك القلوب، والتعبد بآياته، والتهيؤ والاستعداد التام له، ومعرفة قدره بأنه كلامُ الله سبحانه.

وصلَّى اللهُ وسلَّمَ على نبيِّنا محمدٍ وعلى آلِه وأزواجِه وصَحْبِه ومَنِ اتَّبَعَهم بإحسانٍ إلى يومِ الدِّينِ والحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ!

فهرس المحتويات

العنوان	الصفحة
مقدمة	٣
المبحث الأول: القرآن كتاب هداية	٧
المبحث الثاني: التمسك بالقرآن والعمل به أمان من الضلال والهلاك في الدنيا والآخرة	١٣
المبحث الثالث: القرآن كلام الله، ولا يشبه كلام البشر	١٧
المبحث الرابع: من آمن بالقرآن والسنة جملةً وتفصيلًا فذلكم المؤمن المبشَّر بالخير	٢٣
المبحث الخامس: أهل القرآن هم العاملون به، المخلصون لربهم	٢٤
المبحث السادس: القرآنُ والسُّنةُ دعوةُ إبراهيمَ عليه السلام، ومِنَّةُ اللهِ على هذه الأمة	٢٦
المبحث السابع: الذين يعلِّمون القرآنَ ويُبيِّنونَه ولا يَكتُمُونه هم المؤمنون الفائزون	٣٠
المبحث الثامن: القرآن نزل ليَحكُمَ بين الناس	٣٢
المبحث التاسع: علم الكتاب والسُّنة هو أجلُّ وأعظمُ علمٍ على الإطلاق؛ بل هو العِلمُ الحقيقي الذي مَن جهِلَه فهو الجاهلُ	٣٣

المبحث العاشر: القرآن برهان ونور وحجة الله الساطعة القاطعة ٣٦
المبحث الحادي عشر: القرآن مصدِّق لجميعِ الكتب المنزَّلة ومُهَيمِنٌ عليها ٣٨
المبحث الثاني عشر: وجوب التحاكم للقرآن والسُّنة، وكلُّ حُكمٍ يخالفهما فهو جاهليٌّ ٣٩
المبحث الثالث عشر: القرآن كتابٌ مُبارَكٌ كثيرُ الخير عظيمُ النفع ٤٠
المبحث الرابع عشر: وجوب تدبر القرآن وفهم معانيه وأحكامه ٤١
المبحث الخامس عشر: القرآن كتاب مفصَّل تام ٤٩
المبحث السادس عشر: وجوب اتباع القرآن والسنة ٥١
المبحث السابع عشر: مَثَلُ مَن آتاه اللهُ القرآنَ والسنة ولم يعمَلْ بهما وجزاؤه ٥٣
المبحث الثامن عشر: أكبر عقوبة يُبتلى بها المرء الحرمان من القرآن والسنة تعلمًا وفهمًا وتلاوة وعملًا وتحاكمًا ٥٤
المبحث التاسع عشر: فضل الاستماع والإنصات للقرآن ٥٥
المبحث العشرون: القرآن كتاب حكيم ٥٨
المبحث الحادي والعشرون: القرآن موعظة وشفاء وفضل ورحمة للمؤمنين ٦٠

المبحث الثاني والعشرون: القرآن هو الحق من ربكم ٦٢
المبحث الثالث والعشرون: القرآن كتاب صادق الأخبار، عادل الأحكام، فصيح الألفاظ، بليغ المعاني ٦٥
المبحث الرابع والعشرون: القرآن كتاب عربي مبين ٦٦
المبحث الخامس والعشرون: التعوذ بالله عند قراءة القرآن العظيم ٦٩
المبحث السادس والعشرون: القرآن حجابٌ وسترٌ بين المؤمنين والكافرين ٧٠
المبحث السابع والعشرون: القرآن الكريم جامع لكل الأمثال ٧٣
المبحث الثامن والعشرون: القرآن تذكرة لمن يخشى ٧٥
المبحث التاسع والعشرون: القرآن ذكروذو ذكر ٧٧
المبحث الثلاثون: وجوب التأني في تلقي القرآن وتعلمه وتعليمه ٨٢
المبحث الحادي والثلاثون: القرآن هو الفرقان الذي أنزله الله على محمد رسول الله ﷺ ٨٣
المبحث الثاني والثلاثون: هجر القرآن إجرام، واتباعه هداية وانتصار ٨٤
المبحث الثالث والثلاثون: من عناية الله بالقرآن ٨٥
المبحث الرابع والثلاثون: من أوصاف القرآن الكريم ٨٧

المبحث الخامس والثلاثون: الأمر بتعلم القرآن وتلاوته ومعرفة أحكامه ٩٠
المبحث السادس والثلاثون: اصطفاء أمة محمد ﷺ للقرآن العظيم ونوالها الخيرية ببركته ٩١
المبحث السابع والثلاثون: القرآن أحسن الحديث المتشابه المثاني ٩٢
المبحث الثامن والثلاثون: موقف الكفار من القرآن واحد على مر الأزمان ٩٥
المبحث التاسع والثلاثون: القرآن عزيز ٩٦
المبحث الأربعون: القرآن رُوحٌ ٩٧
المبحث الحادي والأربعون: القرآن عليٌّ حكيم ٩٩
المبحث الثاني والأربعون: الويل للمتكبر عن القرآن، المستهزئ به ١٠٠
المبحث الثالث والأربعون: صالحو الجن والقرآن ١٠٤
المبحث الرابع والأربعون: القرآن والسنة هما الهدى ودين الحق الذي أرسل الله به رسوله ﷺ ١٠٦
المبحث الخامس والأربعون: القرآن مجيد ١٠٨
المبحث السادس والأربعون: تيسير الله للقرآن تعلمًا وعملًا واحتكامًا ١١٠
المبحث السابع والأربعون: القرآن رحمة واسعة من الله لخلقه ١١١

المبحث الثامن والأربعون: القرآن كريم ولا يجوز المداهنة فيه ١١٢
المبحث التاسع والأربعون: أما آنَ للمؤمنين أن يخشَعوا للقرآن؟! ١١٣
المبحث الخمسون: أثر القرآن في القلوب المؤمنة ١١٤
المبحث الحادي والخمسون: وجوب ترتيل القرآن العظيم ١١٦